كتاب التوحيد

وإثبات صفات الرب عز وجل

تأليف

إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة

٢٢٣ - ٣١١هـ

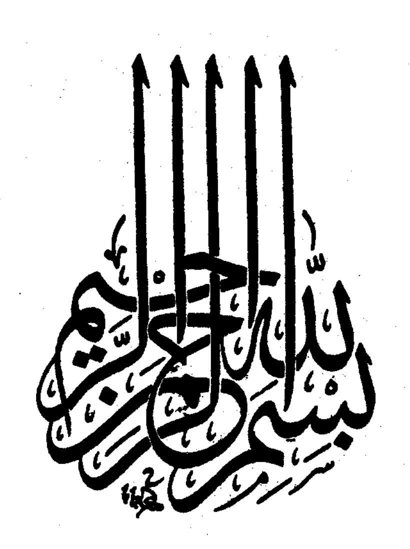
دراسة وتحقيق

الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان

الجزء الأول

دار الرشد

الرياض


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

« لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ »

تصــدير
بقلم فضيلة الدكتور الشيخ صالح بن فوزان الفوزان
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء وعضو
هيئة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين، جعل العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين. ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وصلى الله على نبينا محمد القائل: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». وسلم تسليما كثيرا.

أمـا بعـد: فإن أجل العلوم وأصل الأصول هو علم التوحيد الذي موضوعه معرفة الله تعالى بآياته وأسمائه وصفاته، والقيام بعبوديته. وإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال. وتنزيهه عما نزه عنه نفسه أو نزهه عنه رسوله من صفات النقص والعيب. والرد على من انحرف عن هذا الأصل فعبد غير الله أو أشرك في عبادة الله. أو حرف أسماء الله وصفاته بالتأويل وسلك مسلك التعطيل والتمثيل، وبيان هذا الأصل والدعوة إليه والرد على من انحرف عنه أو حرف فيه هو وظيفة الرسل صلوات الله وسـلامـه عليهم أجمعـين، وهـو أيضـا وظيفة خلفاء الرسل ووارثيهم وهم العلماء العاملون فقد كان في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى. ويبصرون أهل العمى، ويصبرون منهم على الأذى. ومن هؤلاء العلماء: (إمام الأئمة الإمام الحافظ: أبو بكر محمـد بن إسحـاق بن خزيمة) من علماء القرن الثالث الهجري. . وأحد الفحـول الفـطاحل ـ فقد شهد له علماء عصره وشيوخه وتلاميذه بالحفظ والعلم والفقه والقدرة على الاستنباط ـ قال عنه الحافظ ابن كثير: (كان بحرا من بحور العلم. طاف البلاد ورحل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم،

فكتب الكثير وصنف وجمع، وهو المجتهد في دين الإسلام) ـ انتهى ـ وهذا العالم الجليل والإمام الفحل قام بدور كبير فقد شارك في بيان العقيدة الصحيحة وذب عنها ورد على من ألحد في أسماء الله وصفاته من الجهمية والمعتزلة وتلاميذهم من الأشاعرة والماتوريدية وأضرابهم من أفراخ المعطلة. وذلك في كتابه العظيم الذي سماه: «كتاب التوحيد، وإثبات صفات الرب عز وجل» وقال في مقدمته:

(كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث من لعله كان يحضر مجالس أهل الزيغ والضلالة من المعطلة والقدرية المعتزلة ما تخوفت أن يميل بعضهم عن الحق والصواب من القول إلى البهت والضلال في هذين الجنسين من العلم.. فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين من العلم بإثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة قبل حدوث كسب العباد. والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جل وعلا مما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.. وبما صح وثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولا إليه صلى الله عليه وسلم ليعلم الناظر في كتابنا هذا ممن وفقه الله لإدراك الحق والصواب ومن عليه بالتوفيق لما يحب ويرضى صحة مذهب أهل الآثار في هذين الجنسين من العلم وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع. الذين هم في ريبهم وضلالتهم يعمهون) انتهى ما وصف به هذا الكتاب وهو وصف يطابق موصوفه. فهو كتاب يمتاز باعتماده على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة ـ ثم إن مؤلفه من الحفاظ المحدثين يروي الحديث بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال إنه يحتج لذلك (بما صح وتبين عن نبينا صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولا إليه صلى الله عليه وسلم).

وهذه ميزة عظيمة فهو لا يقتصر على مجرد النقل عن غيره. لأنه من الرواة الحفاظ النقاد الذين يختارون مما يروون ماهو أصح وأثبت. ثم هو من متقدمي علماء السنة ومن طبقة الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم فتخريجه للحديث يعتمد عليه ويوثق به ولاسيما في نصوص الصفات وأدلة العقيدة، وإن مؤلفا كهذا وفي هذا الموضوع المهم مما حدى بأخينا فضيلة الدكتور الشيخ: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان إلى اختياره ليكون موضوعا لرسالة الدكتوراه ليقوم بدراسته وتحقيقه وإخراجه بالمظهر اللائق به ليسد ثغرة في المكتبة الإسلامية. ويكون مرجعا لأهل التوحيد. وسلاحا يشهرونه في وجوه أعداء العقيدة السلفية من المعطلة والمبتدعة ـ فقام جزاه الله خيرا بدراسة هذا الكتاب وتحقيقه وإخراج نسخة صحيحة موثقة لأصله. وبذل في سبيل ذلك الكثير من الجهد. وصرف فيه الطويل من الوقت. وأفرغ فيه الكثير من المجهود العلمي ـ وتلخص عمله فيما يلي:

١ ـ دراسة حياة المؤلف وبيان مكانته العلمية وما يتحلى به من الصفات الجليلة.

٢ ـ ثم قدم دراسة تمهيدية عن الكتاب ومنهج المؤلف فيه وما قد يستدرك عليه.

٣ ـ تقويم الكتاب وبيان ما فيه من فائدة علمية تجعله من أمهات المصادر في موضوع العقيدة.

٤ ـ تحقيق نص الكتاب، ودراسة مافيه من الأسانيد، وترقيم الآيات وتخريج الأحاديث.

٥ ـ بيان وجه الاستدلال من النصوص التي قد يسوقها المؤلف ولا يبين وجه الاستدلال منها بل يكتفي بسياقها تحت الترجمة.

٦ ـ مناقشة المؤلف في بعض الآراء التي له فيها وجهة نظر خاصة قد لا تكون مسلمة له مثل رأيه في حديث: (خلق الله آدم على صورته) وتفسيره لقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وغير ذلك.

٧ ـ توضيح الغامض وإعطاء فكرة مختصرة عن الفرق والنحل التي يمر ذكرها في الكتاب.

٨ ـ ترقيم الأحاديث بأرقام تسلسلية مما يسهل على القاريء الرجوع إليها عند الحاجة ـ إلى غير ذلك من العمل المجدي في خدمة الكتاب الذي بلغ مجموع ما يحويه من النصوص قرابة سبعمائة وخمسين من الأحاديث والآثار ـ وكل واحد من هذه النصوص على كثرتها يحتاج إلى عمل خاص مما يجعل العبء ثقيلا والعمل شاقا ـ ولكن مع العزم الصادق والنية الصالحة يسهل الله كل صعب: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره﴾ ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾. وهذا ما حصل من فضل الله لأخينا الدكتور عبدالعزيز نحو هذا الكتاب فقد قام بعمل لا يستطيع القيام به إلا جماعة من ذوي اختصاصات مختلفة حتى أظهره بالمظهر اللائق الذي يوفر على الناظر فيه كثيرا من الجهد ويسهل عليه الاستفادة منه بأسرع وقت. حتى صار عمله هذا بحق نموذجا يحتذى في اخراج أمثاله من كتب أسلافنا ـ فجزاه الله خيرا وزاده من العلم النافع والعمل الصالح ـ كما أننا نستحثه على مواصلة هذا الجهد في إخراج كتب أخرى من كتب سلفنا هي بحاجة إلى مثل هذا العمل لينتفع بها المسلمون ـ فان هذا من أولى ما تصرف فيه الطاقات والأوقات.

ونسأل الله عز وجل أن يعز دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه ـ واذا كان المبتدعة والضلال وأصحاب النحل الفاسدة الآن جادين في اخراج تراثهم العفن ونشركتبهم الفاسدة وترويج أفكارهم الضالة وتدعمهم منظمات الكفر والالحاد ـ فإن على أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية أن ينشطوا لاخراج كتب العقيدة الصافية وفقه الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح ليكون ذلك سلاحا بأيدي الدعاة إلى الله والمدافعين عن الحق يدحضون به كل شبهة ويدمغون به كل باطل ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه: صالح بن فوزان ابن عبدالله الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

* المقدمـــــــة :

وتشمل :

١ - تمهيـــــد .

٢ - أهمية العقيـدة .

٣ - عنايـة السلـف بهـا

* المقدمـــــة :

١ - التمهيــــد :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين أما بعد :

فإن من نعم الله على هذه الأمة أن أكمل لها الدين وأتم عليها النعمة ، وما قبض رسوله إلا وقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

قال عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتي » .

وذلك ليرجعوا إليهما عند الاختلاف ويحتكموا إليهما عند النزاع ، تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ... ﴾. وذلك حماية لهذه الأمة من أن تتلاعب بها الأهواء والشبهات ، أو تنساق وراء المغريات والشهوات وذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .

وعلى هذا النهج سار سلف الأمة ، فكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يأخذون سلوكهم وأعمالهم وعقائدهم من رسول الله ﷺ ، فحياته هي الإسلام ، وخلقه هو القرآن ، وقد نزل القرآن الكريم بلغتهم ففهموا ما أراد الله منهم ، وما احتاج إلى بيان بينه لهم رسول الله - ﷺ - بسنته ، وبقي الأمر على ذلك في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وصدرٍ من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم .

ونتيجة لتوسع الفتوحات الإسلامية ، وضم بلاد شتى إلى ديار الإسلام ، وأقاليم متعددة ، وكانت هذه الأقاليم المفتوحة مليئة بالديانات والمذاهب المختلفة ، ودخل

معظم أتباع هذه الديانات في الإسلام عن طواعية واختيار ، وعن يقين بصدق النبوة وكمال الإسلام .

كما ظهر إلى جانب هؤلاء من أكل الحقد قلوبهم على انتصار الإسلام واتساع رقعته ، وكانت نفوسهم تحمل حقدًا دفينًا ، ومخططًا خبيثًا يهدف الى زعزعة عقيدة الإسلام ، في نفوس أتباعه ، التي كان لها أقوى الأثر فى هذه الانتصارات وهذا الانتشار السريع ، فعملوا على إثارة الفرقة والبغضاء فيما بين المسلمين ، مظهرين النصح تارةً ، والعقل والفهم تارةً أخرى ، وتدخل مثيرو الفتنة يحرضهم اليهودى الماكر (عبد الله بن سبأ) حتى تجرأت الأيدى الآثمة على قتل عثمان ، الخليفة الراشد يوم الدار .

ومن هنا : ذر قرن الفتنة ، ثم تتابعت تلك الفتن وظهرت معها الفرق وأسماؤها تدل على منزعها السياسي .

فالخوارج : هم الذين خرجوا على علي ومعاوية رضي الله عنهما ، والشيعة : هم المشايعون لعلي على زعمهم ، ثم كثر الجدل في المساجد والأندية والمجتمعات ، وتمخض ذلك الجدل عن عقائد منحرفة متعددة وقع بعض المسلمين ضحيةً لها ، نتيجة التلبيس والتمويه والخداع الذكي .

* فظهرت بدعة القول بنفي القدر من (معبد الجهني) [١]، فتبرأ ابن عمر وغيره ممن يقول بهذه المقالة .

* ثم القول بالإرجاء من (غيلان الدمشقي) [٢] .

* ثم حدثت بدعة (الجهم بن صفوان) [٣]، ببلاد ما وراء النهر ، فعظمت الفتنة به ، فإنه نفى أن تكون لله تعالى صفة ، وأورد على أهل الإسلام شكوكًا أثرت في حياة المسلمين ، آثارًا قبيحةً ، تولد عنها بلاء كبير .

---

(١) المتوفى سنة (١٢٤ هـ) .

(٢) المتوفى عام (١٠٥ هـ) .

(٣)المتوفى عام (١٢٨ هـ) .

واستنكر أهل السنة بدعته ، وحذروا الناس منه .

وفي أثناء ذلك : حدث مذهب الاعتزال (على يد : واصل بن عطاء)[1]، الذي بنى مذهبه ومن بعده على الجدل مستعينين بما وجدوه من منطق اليونان وفلسفته ، لتقرير آرائهم ، وبذلك سمحوا لأنفسهم برد أخبار الآحاد ، وتأويل النصوص القطعية لتتفق مع مبادئهم .

إذ ما أسلم امروء نفسه للجدل في الدين إلا وقد سمح لعقله بمخالفة النصوص الشرعية ، وأن يبتدع في دين الله ما ليس منه ، ويحاول أن يوجد لرأيه دليلًا من كتاب أو سنة .

وقد انتشرت تلك العقائد والشبه بين المسلمين ، وزعم المعتزلة أنه يجب إخضاع نصوص العقائد للعقل ، كما كان لترجمة كتب المنطق والفلسفة أكبر الأثر في إدخال المفاهيم الغريبة .

ووجد فيها أصحاب الفرق مادة خصبةً لإثراء آرائهم ومبادئهم المنحرفة .

٢ ـ أهمية العقيدة :

يرجع موضوع أهمية الدراسة لعقيدة السلف سواء بالكتابة أو التحقيق إلى أهمية العقيدة نفسها ، وضرورة العمل الجاد في سبيل العودة بالناس إليها ، خالصةً من ضلالات الفرق والمذاهب الزائفة .

وذلك لأمور منها :

* **أولًا** : إنها هي التي استطاعت أن توحد بين القلوب وتؤلف بين النفوس ، وتجمع الأمة على هدف واحد ، وتدفع بها لمحاربة الشرك والضلال ، ونشر العدل والحق بين الناس ، وأصدق دليل على ذلك عصر صدر الإسلام ، الذي ضرب فيه الصحابة –رضوان الله عليهم– ومن تبعهم أروع الأمثلة في التضحية والفداء في

---

(١) المتوفى عام (١٣١ هـ) .

الدفاع عن هذه العقيدة ، وحمايتها والعمل على نشرها ، حيث كانت حيةً صافيةً ، في نفوسهم ، لم تتسرب إليها الشبهات ، ولم تؤثر فيها الشهوات .

* **ثانيًا :**

تميزت عقيدة السلف بالوضوح ، حيث إنها تتخذ من نصوص الكتاب قاعدةً لها تنطلق منها فى التصور والفهم ، بعيدًا عن شبه المعطلين ، والمتأولين والمشبهين .

ذلك أنها تربط المسلم برسول الله – ﷺ – وبصحابته وبسلفه الصالح الذين هم الفرقة الناجية وهي (من كان على مثل ما كان عليه الرسول – ﷺ وأصحابه) .

ثالثًا :

ثم إن في التزام عقيدة السلف اتباعًا لما أمر به القرآن ، ودعت إليه السنة ، من ضرورة اتباع سبيل المؤمنين الصادقين ، الذين يتلقون كل ما جاء به الرسول – ﷺ – في إذعان تام ، وتسليم مطلق ، دون أن يزيغوا بعقولهم عن هذا الصراط المستقيم .

رابعًا :

ثم إنه ليس هناك ما يوحد بين صفوف المسلمين ويجمع كلمتهم دون أن تتوزعها الأهواء ، وتتجاذبها الفرق ، كالعودة إلى عقيدة السلف والانطلاق منها للبناء والتربية والتوجيه .

وإذا أضفنا إلى ذلك : أن المتمسك بها ينجو من مهلكة الخوض في ذات الله ، أو الرد لشيء مما صح عن رسول الله – ﷺ – بدت لنا أهمية هذه العقيدة ، وأهمية العمل للعودة بالناس إليها ، وأهمية عرضها ودراستها وتوضيحها للناس .

ولهذا كانت جهود السلف كبيرةً بالعناية بهذه العقيدة والمحافظة عليها .

* **٣ – (عناية السلف بالعقيدة) :**

برزت جهود السلف في العناية بالعقيدة والذب عنها فى جانبين :

* الأول : المناظرة لأصحاب الفرق الضالة وإفحامها وكشف حقيقتها .

* الثاني : تأليف الكتب في بيان العقيدة الصحيحة بالاعتماد على الكتاب والسنة

وأقوال السلف . أو بالرد على كتب أصحاب الضلال من الجهمية والمعتزلة وأهل الإلحاد وأهل الحلول ووحدة الوجود .

فقد اشتدت المعركة بين الحق والباطل ، وبلغت ذروتها في أيام الإمام أحمد ، أكثر من ذى قبل ، حيث تمكن الجهمية والمعتزلة من إقناع بعض الخلفاء العباسيين بمذهبهم ودعوتهم ، وحمل الناس عليها بالقوة ، وذلك في عهد المأمون (١٨٠ هـ) ، والمعتصم (٢٢٧ هـ)، والواثق (٢٣٢ هـ) .

فامتحنوا العلماء وآذوهم وضربوهم ، وصمد الإمام أحمد – رحمه الله – لهذه المحنة، وجادل المعتزلة ، ودحض شبههم وصبر على السجن والتعذيب ، حتى آذن الله بنصر السنة ، وقمع البدعة ، حين تسلم المتوكل عام (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ) زمام الحكم فأحيا الله به مذهب أهل السنة ، وعلت راية الحق .

وابتدأ نشاط الدعوة بالعودة إلى عقيدة السلف رضي الله عنهم قبل أن تطغى عليهم المفاهيم الفلسفية والمجادلات الكلامية .

فقام الإمام (أحمد بن حنبل) فألف في بيان عقيدة السلف كتابيه المعروفين بـ(السنة) ، و (الرد على الزنادقة والجهمية) ، وتلاه ابنه عبد الله ، فكتب كتابه الموسع (السنة) ، في الرد على المعطلين والواقفة ، واللفظية والمشبهة

وقد توالت التآليف والتصانيف في عقيدة السلف ، على ضوء الكتاب والسنة ، سيما بعد أن كثرت الفرق وتبلورت أفكارها ، فألف الإمام البخارى كتابه (خلق أفعال العباد) ، وابن أبي عاصم النبيل كتابه (السنة) ، وعثمان بن سعيد الدارمي (الرد على الجهمية) ، والرد على بشر المريسي . والخلال كتاب (السنة) ، والطبراني (كتاب السنة) ، والآجرى كتاب (الشريعة) .

وكان من بين الأعلام الذين كتبوا في هذا المجال (إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة) ، بكتابه هذا (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل) ، الذي هو موضوع الدراسة والتحقيق في هذه الرسالة .

القســـم الأول :-

(دراسة حياة : ابن خزيمـــة) :-

وفيه مباحـــث :-

* المبحث الأول : عصـــر المؤلـــف .

- الناحية السياســـية .
- الناحية الاجتماعيـــة .
- الناحية العلميـــــة .



١ ـ الناحيـــــة السياسيـــــة :ـ

اتسم العهد العباسي الذي عاش فيه ابن خزيمة من (٢٢٣ ـ ٣١٠ هـ) بعهد بداية تفكك الدولة ، حيث بدأ فيه تسلط المماليك من الأتراك الذين استكثر منهم المعتصم في حرسه ، وجيشه وإدارة دولته ، إذ أخذ نفوذهم في الازدياد ، حتى استولوا على الأمور في بغداد والعراق ، واستبدوا في السلطة دون الخلفاء ، وقد بلغ استبدادهم إلى درجة أنهم كانوا هم الذين يعينون الخلفاء ويعزلونهم .

كما تطور بهم الأمر إلى أن أغروا المنتصر بن المتوكل على قتل أبيه ، وتوليته الخلافة من بعده .

(وبمقتل المتوكل بدأت فترة من الفوضى السياسية في الخلافة العباسية كان للأتراك خلالها اليد العليا ، كما بدأ التصدع والانقسام في جسم الدولة العباسية ، فأسس الصفارون دولةً لهم ، سجستان عام (٢٥٤ هـ)، وثارت حمص عام (٢٤٠هـ) ، وحاولت أرمينيا الانفصال ، وثار البجة من الأحباش ، وامتنعوا عن تأدية الضريبة المتفق عليها ، واستغل البيزنطيون الفرصة فهاجموا الدولة الإسلامية برا وبحرًا إلى الموانئ المصرية .

فقد هاجم الأسطول البيزنطي ميناء (دمياط) ، سنة (٢٣٨ هـ) ، حيث كانت الحامية المصرية بحفل خاص بالفسطاط ، فباغت البيزنطيون الميناء ونهبوه وأحرقوه ، وسبوا (٦٠٠ امرأةً) .ـ كما ذكر ابن الأثير ، وابن جرير الطبرى [1] .

كما أنه بعد قتل المتوكل عام (٢٤٧ هـ) اشتدت سيطرة قادة الجند الأتراك ، فلم يبق للخلفاء شيء من النفوذ السياسي إلا الدعاء لهم على المنابر وضرب السكة باسمهم فقط .

---

(١) انظر الكامل ـ لابن الأثير (٧٦ ، ٨) ، وتاريخ الأمم والملوك (٢٢٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ / ٨) . وحضارة الدولة العباسية (٦٣ ـ ٧٦) .

« واستمر طغيانهم في عهد المعتز ، واستبدوا بالمكتفى ، كما عزل المقتدر علي يد (مؤنس الخادم) ، ولم يتورع الأتراك عن الاستمرار في قتل الخليفة إذا لم يرق لهم ، فقتلوا بعد المتوكل المهتدى بالله عام (٢٥٦ هـ) ، والمقتدر عام (٣٢٠ هـ) ، والراضي من بعده ، كما قاموا أحيانًا بسمل أعينهم .

وتدخل الحريم في تدبير أمور الدولة ، مما أدى إلى تدهور مركزها ، ففي عهد المقتدر (٢٩٥ – ٣٢٠ هـ) ، كان الأمر والنهي بيد أمه ، واسمها (السيدة) ، إذ كان في استطاعتها عزل الأمراء ، وبلغ من نفوذها أن ولت (تومال)–إحدى وصيفاتها صاحبةً للمظالم ، فكانت تجلس للنظر في مظالم الناس » [1] .

وقد غلبت على هذه الفترة من الخلافة العباسية حياة الفوضى ، والاضطراب ، فيما عدا فترة قصيرة حكم فيها الموفق (٢٥٩ – ٢٧٧ هـ)، ومن بعده المعتضد بن الموفق (٢٧٩ – ٢٨٩ هـ)، أثبت الخليفة فيها نوعًا من القوة والنفوذ ولكنها كانت فترةً قصيرةً ما لبثت أن عاد القادة الأتراك بعدها إلى التحكم بأمور الخلافة من جديد.

وقد صاحب هذه الأوضاع حالات من الفوضى والسلب والنهب ، كما وقع في عهد المقتدر والمعتز .

كما دب الخلاف والانقسام في صفوف القادة الأتراك أنفسهم : « ولا أدل على ذلك من هروب المستعين بالله من عاصمة الخلافة (سامراء) إلى بغداد سنة (٢٥١ هـ)، ومعه أنصاره من الأتراك ، وتمت مبايعة ابن عمه المعتز بالله بتأييد مجموعة أخرى من الأتراك ، فصارت بغداد وتوابعها مع المستعين ، وسامراء مع المعتز .

وبقيت الحرب دائرة بين الطرفين ، إلى أن اضطر المستعين إلى خلع نفسه عام (٢٥٢ هـ) ، لشدة محاصرة جند سامراء على بغداد وتخلى معظم جنده عنه ، ورحل إلى واسط حيث قتل بعد ذلك بتدبير من قادة سامراء وأحمد بن طولون ، الذى وعده بولاية واسط » [2] .

---

(١) انظر : كتاب دراسات في تاريخ الدولة العباسية (٦٨). والبداية والنهاية–لابن كثير (٢٢ / ١١) .
(٢) انظر : البداية والنهاية (٧ / ١١)، وما بعدها .

وقد استمر هذا الصراع بين الخلفاء والأتراك من جهة ، وبين الخلفاء ومنافسيهم من بني العباس وبين الأتراك بعضهم البعض إلى أن جاء عصر البويهيين (٣٣٤-٤٤٧ هـ) ، فبدأ نوع من الاستقرار السياسي في أطراف الدولة .

٢ -(الناحية الاجتماعية) :

كان من نتيجة اضطراب الحالة السياسية أن تأثرت الحياة الاجتماعية ، فانتشر الخوف والقلق والاضطراب ، فقد صاحب ازدياد نفوذ الأتراك استهانتهم بحياة الناس وأرواحهم وأملاكهم .

فقد ساروا في عهد المعتصم في شوارع بغداد راكبين خيولهم دون أن يعبأوا بالمارة ، فيصدمون شيخًا ضعيفًا أو امرأةً عجوزًا ، أو طفلًا فتأذى من ذلك أهل بغداد [١] .

واضطروا إلى رفع شكاياتهم إلى الخليفة بعد أن تفاقمت الحوادث التي ارتكبها هؤلاء الأتراك « فاجتمع أهل الخير على باب المعتصم وقالوا له : إما أن تخرج من بغداد ، فإن الناس قد تأذوا بعسكرك-أو نحاربك فقال كيف تحاربوني ؟ قالوا : نحاربك بسهام السحر ، فقال : وما سهام السحر ؟ قالوا : ندعو عليك .
فقال المعتصم لا طاقة لي بذلك » .
وتحول من بغداد واختط له مدينة جديدة أسماها (سامراء) [٢] .
وقد انتشر العبث بالأموال العامة ووجدت مظاهر الترف والإسراف والبذخ على فترات متقطعة في بعض قصور الخلفاء والأمراء ، فبالإضافة إلى التفنن في بناء القصور وزخرفتها وتزيينها بالحدائق والبرك الرصاصية وما يستغرق ذلك من إتلاف كثير من الأموال ، فقد يحصل ترف يصل إلى ارتكاب المعاصي ، من إحضار القينات والمغنيات وإقامة حفلات الطرب والرقص والشراب المحرم ، ولكن كثيرًا ما يتبع ذلك

---

(١) مروج الذهب (٩/ ٤) .
(٢) معجم البلدان (١٤/ ٥) .

عقوبة من الله عاجلةً وتنكيل بأولئك المترفين تؤدى إلى المصادرة وأحيانًا إلى سمل الأعين والقتل جزاءً وفاقًا .

وإلى جانب هذا البذخ والإسراف في حياة بعض الخلفاء وحاشيتهم ومن يتصل بهم ، نجد الفقر والعوز والحاجة الشديدة في حياة كثير من العلماء والعامة ، الذين ليس لهم صلة بالسلطة ، مما اضطر بعضهم إلى الرحيل عن بغداد إلى غيرها طلبًا للرزق ، كما باع بعضهم الآخر أعز كتبه وأنفسها للحصول على دريهمات يقتات منها هو وأولاده »[1] .

* ٣ -(الناحية العلمية والدينية) :

* أولًا : الناحية العلمية :

إن هذا الاضطراب السياسي ، والانقسام وكثرة الحروب والفواجع ، لم تؤثر على الحركة العلمية في البلاد الإسلامية .

فقد وصلت الحركة العلمية في هذا العصر إلى أوجها ، وذروة تطورها ، ونبغ العلماء في كل حقل وفن ، نظرًا لتعدد المراكز العلمية ، وتنافس حكام الأقاليم على اجتذاب العلماء والدارسين وتشجيعهم .

فمثلًا : بلاد (خراسان وما وراء النهر) : التي ولد وعاش فيها إمام الأئمة – رحمه الله – ازدهرت هذه البلاد في عهد ولاية السامانيين ، وخاصة بعد قيام دولتهم عام (٢٦١ – ٣٨٩ هـ) ، وقد اشتهرت دولتهم بالعدل والصلاح وتشجيعهم العلم ، وكان أمراؤها يجلون العلماء ويكرمونهم ويعلون منزلتهم .

وقد خرّجت هذه البلاد في هذه الفترة علماء أجلاء ، خدموا العلم خدمةً كبرى ، بجدهم وصبرهم على البحث ورحلتهم إلى أقاصى البلدان يأخذون العلم من أهله ، حيث كان ، فمن هؤلاء العلماء الإمام : البخارى ، ومسلم وابن أبي حاتم ،

---

(١) ظهر الإسلام (١١٦ – ١/١٢٠) .

صاحب الجرح والتعديل ، والبيهقي ، وغيرهم كثير [1] .

كما تم في هذا العصر تدوين أمهات كتب الحديث ، كالصحيحين والسنن ، وبعض المسانيد وغيرها من كتب الفقة والأدب وسائر العلوم .

كما نشطت فيه حركة الجمع والنقد ، وتمييز الصحيح من الضعيف ، ونقد الرجال والحكم لهم أو عليهم ، فكان بذلك من أهم العصور ، حيث أسست فيه قواعد الحركة العلمية وكانت الكتب المؤلفة بعده مستمدة منه ومبنية عليه .

وشأن الحديث في ذلك شأن كثير غيره من العلوم، كالفقه والنحو واللغة وغيرها.

*** ثانيًا :-(الناحية الدينية) :-**

كان العصر الذي عاش فيه-ابن خزيمة رحمه الله-عصرًا تعددت فيه الفرق والمذاهب ، وأصبح لكل فرقة منها تأثير على عدد كبير من الناس . كما انصهرت في هذا القرن الثالث الفرق التي ظهرت في القرنين : الأول والثاني ، واتحدت في أربع فرق رئيسية هي :-

١ -الخـــــــوارج .

٢ -الشيعـــــــة .

٣ -المعتزلــــــة .

٤ -المرجئـــــــة .

فقد تبنت الشيعة (المشبهة) ، الذين كان زعيمهم مقاتل بن سليمان المفسر المتوفى سنة (١٥٠ هـ) ، والذى بالغ في إثبات الصفات حتى « شبه » [2] .

والمعتزلة : تبنت القدرية ، وجزءًا من الجهمية ، والجبرية دخلت في المرجئة وغيرها من الفرق .

---

(١) ظهر الإسلام (١/٢٥٩) ، وتاريخ الإسلام-لحسن إبراهيم (٢/٢٣٣) .

(٢) مقالات الإسلاميين (١/٢٨٣) .

كما أن المعتزلة الذين كسرت شوكتهم في خلافة المتوكل لازال لهم وجود وتأثير بين الناس .

كما كان لهم مجالسهم وحلقاتهم الخاصة بهم ، التي يحضرها عدد من طلاب العلم ويتأثرون بأفكارهم وآرائهم .

ولم يكن – ابن خزيمة رحمه الله – بمعزل عن هذه الفرق ، أو بعيد عنها ، بل إنه قد نازل أصحابها وناظرهم وأفحمهم ، يدل على ذلك ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن شيخ الإسلام في عصره أبي إسماعيل ، عبد الله بن محمد الأنصارى في (اعتقاد أهل السنة وما وقع عليه أهل الحق والملة) .

قال : (ثم جاءت طائفة فقالت : لا يتكلم بعد ما تكلم ، فيكون كلامه حادثًا ، قال : وهذه سخارة أخرى ، تقذى في الدين غير عين واحدة ، فانتبه لها أبو بكر بن إسحاق ابن خزيمة ، وكانت حينئذ (نيسابور) دار الآثار ، تمد إليها الرقاب وتشد إليها الركاب ، ويجلب منها العلم – ثم قال : فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر ، فلم يزل يصيح بتشويهها ، ويصنف في ردها كأنه منذر جيش ، حتى دون في الدفاتر وتمكن في السرائر ، ولقن في الكتاتيب ، ونقش في المحاريب : أن الله متكلم إذا شاء تكلم وإذا شاء سكت ، فجزى الله ذاك الإمام ... عن نصرة دينه وتوقير نبيه خيرًا)[1] .

كما نجد ذلك واضحًا في ثنايا هذا الكتاب ، فقد تضمن بما أورده المؤلف من نصوص الرد على الجهمية والمعتزلة في نفيهم للصفات ، وعلى الخوارج في قولهم بكفر وبتخليد صاحب الكبيرة في النار ، وعلى المرجئة في قولهم في الإيمان ، ومن هذا نلمس مدى انتشار أقوال هذه الفرق وتأثيرها وجهود العلماء في التصدى لها ودحضها .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٨) .

(المبحث الثاني : حياته الشخصية)

أولًا : اسمـــــه وكنيتـــــه

ثانيًا : مولـــــده ونشـــأتـــه

ثالثًا : صفاتـــــــه .

رابعًا : وفاته وما قيل في رثائه



*** أولًا : (اسمه ونسبه وكنيته) :**

هو : محمد بن إسحاق بن خزيمة ، بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي ، النيسابورى ، الحافظ الحجة الفقيه ، الشافعي ، إمام الأئمة وصاحب التصانيف .

وكنيته : أبو بكـــر [1] .

*** ثانيًا : (مولده ونشأته) :**

ولد إمام الأئمة في شهر صفر من عام (٢٢٣ هـ) ، بنيسابور ، ونشأ بها ، وطلب الحديث منذ حداثة سنه ، فسمع من عالم خراسان ومحدثها الإمام إسحاق بن راهويه المتوفى سنة (٢٣٨ هـ) ، ومن محمد بن حميد الرازى المتوفى سنة (٢٣٠ هـ) ، ولم يحدث عنهما لكونه سمع منهما في صغره وقبل فهمه وتبصره .

*** ثالثًا : (صفاتـــه) :**

١ ـ تقواه وزهده :

قال أبو عثمان الحيرى : حدثنا ابن خزيمة قال : كنت إذا أردت أن أصنف الشيء دخلت في الصلاة مستخيرًا ، حتى يقع لي فيها ، ثم أبتدىء التصنيف) .

---

(١) مصادر ترجمته:

سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٥)، الجرح والتعديل (٧/١٩٦)، المنتظم (٦/١٨٤-١٨٦)، تذكرة الحفاظ (٢/٧٢٠)، الوافي بالوفيات (٢/١٩٦)، طبقات الشافعية للسبكي-(٣/١٠٩-١١٠) البداية والنهاية (١١/١٤٩)، شذرات الذهب (٢٦٢-٢٦٣)، طبقات الشيرازى (١٠٥-١٠٦). معجم المؤلفين (٩/٤٠)، تهذيب الأسماء واللغات (١/٧٨)، دول الإسلام (١/١٨٨)، الأعلام للزركلي (٦/٢٣٥).

وقال أبو بكر ، محمد بن جعفر ، سمعت ابن خزيمة–وسئل : من أين أوتيت هذا العلم ؟ فقال : قال رسول الله –ﷺ : ماء زمزم لما شرب له ، وإني لما شربت ماء زمزم سألت الله علمًا نافعًا) .

وقال أبو بكر بن بالويه : سمعت ابن خزيمة يقول : وقيل له : لو حلقت شعرك في الحمام ؟ فقال : لم يثبت عندى أن رسول الله –ﷺ– دخل حمامًا قط ، ولا حلق شعره وإنما تأخذ شعرى جارية لي بالمقراض)[1] .

وقيل له أيضًا : لو قطعت لنفسك ثيابًا تتجمل بها ، فقال : ما أذكر نفسي قط ولي أكثر من قميصين .

قال أبو أحمد الدارمى : وكان له قميص يلبسه وقميص عند الخياط فإذا نزع الذي يلبسه وهبه ، وغدوا إلى الخياط وجاءوا بالقميص الآخر .

٢ –(سخاؤه وكرمـــه) :

كان رحمه الله معروفًا بالسخاء والكرم ، وكان يتصدق حتى بملابسه ، ويبدو أنه لم يكن يلبس القميص الواحد مرتين)[2] .

وقال حفيده محمد بن الفضل ، كان جدى أبو بكر لا يدخر شيئًا جهده ، بل ينفق على أهل العلم ، ولا يعرف صنجة الوزن ، ولا يميز بين العشرة والعشرين)[3] .

وقال الحاكم : « إن الإمام ابن خزيمة عمل دعوةً عظيمة جمع فيها الفقراء والأغنياء ، ونقل كل ما في البلد من الأكل والشواء ، والحلوى ، وكان يومًا مشهودًا بكثرة الخلائق ،ولا يتهيأ مثله إلا لسلطان كبير)[4] .

وكان ذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثمائة)[5] .

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٧٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٩) .
(٢) طبقات الشافعية (٣/١١١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٦) .
(٤) طبقات الشافعية (٣/١١٩) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٨) ، وتذكر الحفاظ (٢/٧٢٥) .

٣-(شجاعتـــه وجرأتــه) :

كان ابن خزيمة – رحمه الله – شجاعًا جريئًا لا يخاف الأمراء والولاة ولا يهابهم .
قال أبو بكر بن بالويه : (سمعت ابن خزيمة يقول : كنت عند الأمير إسماعيل بن أحمد ، فحدث عن أبيه بحديث وهم في إسناده ، فرددته عليه ، فلما خرجت من عنده قال أبو ذر القاضي : قد كنا نعرف أن هذا خطأ ، منذ عشرين سنةً ، فلم يقدر واحد منا أن يرده عليه ، فقلت له : لا يحل لي أن أسمع حديث رسول الله ﷺ فيه خطأ أو تحريف فلا أرده) [١] .

رابعًا (وفاته) :

توفي إمام الأئمة – رحمه الله – ليلة السبت الثاني من ذى القعدة سنة إحدى عشرة وثلاث مائة ، وعمره (٨٩) سنةً .
ولابن خزيمة ترجمة طويلة في (تاريخ نيسابور) تكون بضعًا وعشرين ورقةً ، ومن ذلك وصيته ، وقصيدتان رثي بهما) [٢] .
ومما قيل في رثائه :

يا ابن إسحاق قد مضيت حميدًا فسقى قبرك السحاب الهتـون
مـا توليـت بل العلـم ولـي ما دفنـاك بل هو المدفـون [٣]

---

(١) طبقات الشافعية (٣/١١١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٨٢) .
(٣) طبقات الشافعية (٣/١١٢) .



المبحث الثالث :

(حياتـــــه العلميـــــة) :

١ ـ طلبه العلم ورحلاته .

٢ ـ شيوخـه وتلاميـــذه .

٣ ـ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

٤ ـ مؤلفاتـــــــه .

٥ ـ عقيدته ومذهبـــــه .



١ ـ طلبه العلم ورحلاته :

سلك الإمام ابن خزيمة طريقة طلاب العلم في عصره ، وهي تلقي العلم أولًا على شيوخ بلده ثم الرحلة في طلبه من بلد إلى آخر .

فقد سمع في صغره كما أسلفنا من علماء نيسابور ابن راهويه ، ومحمد بن حميد ، ثم لما أراد أن يرحل كان يرغب في الذهاب إلى قتيبة ، فاستأذن أباه ، فأجابه : (اقرأ القرآن أولًا ، حتى آذن لك) .

يقول ابن خزيمة : (فاستظهرت القرآن ، فقال لي : امكث حتى تصلي بالختمة ، ففعلت ، فلما عيدنا أذن لي ، فخرجت إلى مرو ، وسمعت بمرو الروذ من محمد بن هشام ، ـ يعني صاحب هشيم [1] ـ فنعى إلينا قتيبة) [2] .

وكانت وفاته في سنة أربعين ومائتين) .

ثم واصل رحلاته في طلب العلم ورحل إلى بلدان كثيرة منها : الرى ، وبغداد ، والشام ، والبصرة ، والكوفة ، والجزيرة ، ومصر ، وواسط ، وفي هذه المدن سمع من علماء أعلام في السنة والفقه وغيرهما من العلوم [3] .

* ٢ ـ (شيوخه وتلاميذه) :

آ ـ شيوخـــه :

يعد شيوخ ابن خزيمة الذين سمع منهم وتلقى عنهم بالمآت ، ومن أشهرهم :

١ ـ عالم خراسان في عصره ، وأحد كبار الحفاظ المشهورين في وقته (إسحاق بن راهويه المتوفى عام (٢٣٨ هـ) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٦٥ / ١٤)، وتذكرة الحفاظ (٧٢٢ / ٢) .

(٢) (قتيبة) : هو (ابن سعيد ، ثقة ، ثبت ، مات سنة (٢٤٠ هـ) ، وعمره (٩٠) سنة ، روى عنه البخاري (٣٠٨ حديثًا) ، ومسلم (٦٦٨ حديثًا) . تهذيب التهذيب (٣٦٠-٣٦١/ ٨) .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ـ للسبكي (١١٠ / ٣) ، سير أعلام النبلاء (٣٦٦ / ١٤) .

٢ – ومحمد بن حميد الرازى ، المتوفى سنة (٢٣٠ هـ) .

٣ – ومحمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن ذؤيب الذهلي ، الثقة ، الحافظ ، الجليل ، المتوفى عام (٢٥٨ هـ) .

٤ – ومحمد بن بشار العبدى (بُنْدَار) ، المتوفى عام (٢٥٢ هـ) .

٥ – وأبو موسى ، محمد بن المثنى ، المتوفى عام (٢٥٢ هـ) .

٦ – ومحمود بن غيلان ، المتوفى عام (٢٣٩ هـ) .

٧ – وعلى بن حُجْر بن إياس المتوفى عام (٢٤٤ هـ) .

٨ – ونصر بن علي الجهضمي ، المتوفى عام (٢٥٠ هـ) .

٩ – ويونس بن عبد الأعلى الصدفي ، المتوفى عام (٢٦٤ هـ) .

١٠ – وأحمد بن منيع البغوى المتوفى عام (٢٤٤ هـ) .

كما سمع من الإمامين : البخارى ومسلم وخلق لا يحصون ، فقد بلغ عدد شيوخه الذين ورد ذكرهم في كتاب التوحيد ما يزيد على (١٣٥) شيخًا ، عدا الذين روى عنهم في الصحيح والمسند ، وكتبه الأخرى ، وقد ترجمت لمشايخه الذين ذكرهم فى هذا الكتاب كل في موضعه . وإنما ذكرت هنا بعض من أكثر الرواية عنهم في هذا الكتاب .

* **ب – (تلاميــــذه) :**

روى عنه العلم جماعة من مشايخه منهم البخارى ومسلم خارج (الصحيح) ومحمد بن عبد الله بن الحكم ، شيخه ، وأحمد بن المبارك المستملي ، وإبراهيم بن أبي طالب ، وأبو علي النيسابورى ، وإسحاق بن سعيد النسوى ، ويحيى بن محمد بن صاعد ، وأبو حامد ، أحمد بن محمد بن بالويه ، وأبو بكر أحمد بن مهران ، المقرى ، وخلائق .

وآخر من روى عنه بنيسابور حفيده أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وعن طريقه وصل إلينا هذا الكتاب .

وقال الربيع بن سليمان المرادى –أحد شيوخه– : (استفدنا من ابن خزيمة أكثر مما استفاد منا) [1] .

* ٣ –(مكانته العلمية وثناء العلماء عليه) :

للإمام –ابن خزيمة رحمه الله– مكانة علمية مشهورة ، فهو يجمع بين الحديث والفقه ، إلا أن شهرته بالحديث أكثر ، ولهذا لقب بالحافظ لكثرة حفظه وإتقانه.

ويمكن أن نعرف مقدار المنزلة العلمية الكبيرة التي كان يحتلها إمام الأئمة –رحمه الله– بشهادة العلماء له بالسبق في هذا الميدان .

فقد شهد له فحول من العلماء ووصفوه بالحفظ والفقه ، والقدرة على الاستنباط والفهم ، وقد جاء هذا الاعتراف والثناء من تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم ، ومن شيوخه الذين تلقى عنهم ورووا عنه .

فقد سئل عبد الرحمن بن أبي حاتم –صاحب الجرح والتعديل عن ابن خزيمة فقال : (ويحكم ، هو يسأل عنا ولا نسأل عنه ، هو إمام يقتدى به) [2] .

وقال الربيع بن سليمان –صاحب الإمام الشافعي –وحامل فقهه– وهو أحد من تفقه عليه ابن خزيمة ، قال لبعض تلاميذه : هل تعرفون ابن خزيمة ؟ قلنا : نعم ، قال : استفدنا منه أكثر مما استفاد منا) [3].

وقال الدارقطني : (كان ابن خزيمة إمامًا ثبتًا ، معدوم النظير) [4] .

وقال الذهبي : (فكان هذا الإمام جهبذًا عالمًا بالحديث ، بصيرًا بالرجال).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٦)، تذكرة الحفاظ (٢/٧٢٢)، المنتظم (٦/١٨٤)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/١١٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٧–٣٧٦). وتذكرة الحفاظ (٢/٣٧١).

(٣) المرجع السابق (١٤/٣٧١) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٣٧٢) .

وقال أيضًا : (ابن خزيمة الإمام الحافظ الحجة ، الفقيه [1] ..)،

وقال أبو حاتم – محمد بن حبان التميمي : (ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح ، وزياداتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة) [2] .

وقال أبو العباس بن سُرَيْج – وذكر له ابن خزيمة – (كان يستخرج النكت من حديث رسول الله – ﷺ – بالمنقاش) [3] .

وقال عنه ابن كثير : (... كان بحرًا من بحور العلم ، طاف البلاد ، ورحل إلى الآفاق ، في الحديث وطلب العلم ، فكتب الكثير وصنف وجمع ، وهو من المجتهدين في دين الإسلام) .

حكى أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء عنه أنه قال : (ما قلدت أحدًا منذ بلغت ست عشرة سنةً) [4] .

وقال أبو أحمد حسينك : (سمعت إمام الأئمة أبا بكر يحكي عن على بن خشرم ، عن ابن راهويه أنه قال : (احفظ سبعين ألف حديثًا ، فقلت لابن خزيمة : كم يحفظ الشيخ ؟ فضربني على رأسي وقال : ما أكثر فضولك ، ثم قال : يابني : ماكتبت سوداء في بياض إلا وأنا أعرفه) [5] .

* وقال أبو علي – الحسن بن محمد الحافظ : (لم أر مثل محمد بن إسحاق ، كان يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة) [6] .

وقال الحاكم : (.... لما بلغ ابن خزيمة من السن والرياسة والتفرد بهما ما بلغ ، كان له أصحاب صاروا أنجم الدنيا ، مثل أبي علي الثقفي ، وأبي بكر بن إسحاق

---

(١) المرجع السابق – نفس الصفحة .

(٢) كذلك المرجع السابق (١٤/٣٦٥) .

(٣) تذكرة الحفاظ (٢/٧٢٣) .

(٤) البداية والنهاية (١١/١٤٩) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٢–٣٧٣) .

(٦) طبقات الشافعية (٣/١١٨) .

الصبغي ، خليفة ابن خزيمة ، في الفتوى وأحسن الجماعة تصنيفًا وسياسةً في مجالس السلاطين ..) [1] .

وقال الذهبي : (ولابن خزيمة عظمة في النفوس وجلالة في القلوب لعلمه ودينه ، واتباعه السنة) [2] .

فمما تقدم : ظهر لنا ما بلغه هذا الإمام من منزلة علمية ، حيث كان إمام عصره يرجع إليه في العلم والإفتاء رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيرًا .

*** ٤ -(مؤلفاتـــه) :**

قال الحاكم : (فضائل إمام الأئمة ابن خزيمة عندي مجموعة في أوراق كثيرة . ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابًا سوى المسائل. والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء .

قال : وله فقه حديث بريرة في ثلاثة أجزاء) [3] .

ولكن معظم هذه المؤلفات فقد وحرمت الأمة بسبب فقدها علمًا كثيرًا ، ولم يوجد منها في الوقت الحاضر إلا كتاب (التوحيد) ، هذا ، ومقدار الربع من صحيحه ، الذى طبع أخيرًا .

وكتاب آخر باسم (شأن الدعاء وتفسير الأدعية المأثورة)، وهو من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (٦١ من ١١ أ ، ١٩ ب من القرن السادس الهجرى) [4]، هذا كل ما تجود به المراجع الموجودة بين أيدينا من أسماء كتبه ، ومن عادة ابن خزيمة أنه يحيل كثيرًا إلى مؤلفاته ويذكرها في ثنايا كتبه ، كما هو واضح لكل دارس لكتابيه التوحيد ، وصحيحه .

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٧٢٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٧).

(٣) طبقات الشافعية ـللسبكي (٣/١٨٨) وسير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٦) .

(٤) تاريخ التراث العربي ـلفؤاد سزكين (٤/٣٣) .

فهو يقول (في : ص **٧٢٨**) من كتاب التوحيد (قد بينا من هذا النحو من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ في كتاب معاني القرآن ، في كتبنا المصنفة من المسند في الفقه) .

فهذا النص يفيدنا أن للمؤلف كتابًا باسم (معاني القرآن ، والمسند في الفقه ،) وقد يشير إليه أحيانًا باسم : الكتاب الكبير ، **كمـا فـي (ص ٣٨١)**.
قال ابن خزيمة

قال : (خرجته بطوله في كتاب الصدقات من كتاب الكبير). ويظهر : أن كتابه (المسند أو الكبير) هذا يحتوى على عدة كتب في الصلاة ، والإمامة والتفسير والبيوع ، والصدقات والجهاد .... الخ ، كما هي طريقة المحدثين في تأليفهم ، حيث نجد الكتاب الواحد يشتمل على عدة كتب ، كما في صحيح البخارى ومسلم ، فمثـلًا كتاب (صحيح البخارى) يشتمل على (كتاب الإيمان ، كتاب العلم ، كتاب الوضوء ، كتاب الغسل ، كتاب الحيض ، كتاب التيمم ، كتاب الصلاة ....) وهلم جرا .

وابن خزيمة لابد أنه سلك هذا الطريق ويتقوى هذا الظن بمقارنة كتاباته بعضها ببعض ، فمثـلًا :

١ – يقول في كتاب (التوحيد هذا) (ص : **١٤٧**) : « ... عن سعيد بن يسار أبي الحباب أنه سمع أبا هريرة بهذا الحديث ولم يرفعه ، خرجت هذا الباب في كتاب الصدقات أول باب من أبواب صدقة التطوع ... » .

والحديث المذكور أعلاه نجده بهذا النص من صحيح ابن خزيمة (ص : ٩٢ – ٩٣ / ٤)، في جماع أبواب صدقة التطوع ، باب فضل الصدقة ....) .

٢ – وذكر أيضًا(في كتاب التوحيد : (ص : **٢٧٠**) شهود الملائكة صلاة العصر وصلاة الفجر ، فقال : (خرجت هذا الباب بتمامه في كتاب الصلاة ، وكتاب الإمامة ، فإذا رجعنا إلى صحيحه نجد أنه قد ذكر هذا الحديث في (كتاب الصلاة) تحت باب : ذكر اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ، في صلاة الفجر وصلاة العصر جميعًا ...) (ص : ١٦٥ / ١) .

وذكر طرفا من هذا الحديث في كتاب الإمامة (٢/٣٦٥) ، وقال : أمليت في أول كتاب الصلاة ذكر اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ، في صلاة الفجر وصلاة العصر) .

٣ـ كما ذكر في كتاب التوحيد (ص:٢٦٩) حديثًا في فضل صلاة الصبح وصلاة العصر ، وقال: قد أمليت طرق هذا الخبر في كتاب المختصر من كتاب الصلاة.

•هذا الحديث موجود في كتاب الصلاة من صحيحه (ص : ١/١٦٤)، في باب : فضل صلاة الصبح والعصر من طرق متعددة .

وصحيح ابن خزيمة المطبوع حاليًا هو كتابه (مختصر المختصر من المسند الصحيح) ، كما جاء منصوصًا عليه في بداية صحيحه .

فيظهر من هذه المقارنة : أن بعض هذه الكتب التي أشار إليها أنها أجزاء من كتابه الكبير . والله أعلم .

٥ـ(عقيدته ومذهبه) :

آ ـ عقيدتـــــــه :

كان (ابن خزيمة رحمه الله) سلفي العقيدة ، على طريقة أهل الحديث ، يقول بما قاله الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعون وتابعوهم .

نجد ذلك صريحًا في كلامه في هذا الكتاب، وفي غيره، فهو يقول: في (ص: ٢٦):

(فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ، ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز عن أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون) .

وقال في (ص : ٥٣) :

(نحن نقول وعلماؤنا جميعًا في الأقطار : إن لمعبودنا عز وجل وجهًا كما أعلمنا الله في محكم تنزيله ، فذواه بالجلال والإكرام وحكم له بالبقاء ونفي عنه الهلاك .

وقال : في (ص : ٦١):

(نحن نقول : إن الله سميع بصير كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا ، ونقول من له سمع

وبصر من بني آدم فهو : سميع بصير ، ولا نقول إن هذا تشبيه المخلوق بالخالق ، ونقول إن لله عز وجل يدين يمينين لا شمال فيهما ... ونقول إن من كان في بني آدم سليم الجوارح والأعضاء فله يدان يمين وشمال لا نقول إن يد المخلوقين كيد الخالق عز ربنا عن أن تكون يده كيد خلقه .

وقال في (ص : ١١٤) :

(نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلي، وما في السموات العلى وما بينهما من صغير وكبير لا يخفى على خالقنا خافية في السموات السبع والأرضين السبع، ولا ما بينه ولا فوقهن ولا أسفل منهن لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها، كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه، وبنو آدم وإن كانت لهم عيون يبصرون بها فإنهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي وبين أبصارهم لا ما يبعد منهم... الخ).

وقال في (ص : ١٩٣) :

(فتدبروا ياأولى الألباب ما نقوله في هذا الباب في ذكر اليدين ليجرى قولنا في ذكر الوجه والعينين تستيقنوا بهداية الله إياكم وشرحه جل وعلا صدوركم للإيمان بما قصه الله جل وعلا في محكم تنزيله وبينه على لسان نبيه ﷺ من صفات خالقنا عز وجل ، وتعلموا بتوفيق الله إياكم أن الحق والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبًا ، مذهب أهل الآثار ، ومتبعي السنن ، وتقفوا على جهل من يسميهم مشبهة إذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه) .

وقال في (ص : ٢٣٣) :

(فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول قولًا غير الذى قيل لنا ، كما قالت المعطلة الجهمية أنه استولى على عرشه لا استوى ، فبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة ، فقالوا (حنطة) ، مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية) .

وقال (في ص : ٢٧٣) :

- بعد أن سرد الأخبار الدالة على معراج الرسول ﷺ والإسراء به إلى السماء

السابعة : « وفي الأخبار دلالة واضحة أن النبي - ﷺ - عرج به من السماء الدنيا إلى السماء السابعة ، وأن الله فرض عليه الصلوات على ما جاء في الأخبار .

فتلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق البارئ فوق سبع سموات لا على ما زعمت المعطلة أن معبودهم هو معهم في منازلهم وكنفهم لا أنه على عرشه قد استوى » .

وقال في (ص : ٢٨٩) :

« باب ذكر أخبار ثابتة السند ، صحيحة القوام ، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي - ﷺ - في نزول الرب جل وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن يصف الكيفية ، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل .... فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية ، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول » .

وقال الذهبي : (قال الحاكم : وحدثني عبد الله بن إسحاق .. قال سمعت أبا سعد عبد الرحمن بن أحمد المقرئ ، سمعت ابن خزيمة يقول : القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، ومن قال شيء منه مخلوق فهو جهمي » [(١)] .

وقال : (وقال أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى : سمعت ابن خزيمة يقول : ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قول إذا صح الخبر » [(٢)] .

فهذه النقول : تؤكد وتدل على أن اعتقاد إمام الأئمة - رحمه الله - في أسماء الله وصفاته هو اعتقاد أهل السنة والجماعة ، من سلف هذه الأمة .

هذا التمسك الشديد بمذهب السلف أوجد له أعداءً في القديم والحديث كسلفه من الأئمة .

فنجد (الرازي) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٧٩/٤)، وتذكرة الحفاظ (٧٢٦/٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٣٧٣/١٤) .

البصير ﴾ - ١٥٠/٢٧ - من تفسيره يتهجم على الإمام ابن خزيمة بأسلوب مقذع يجدر بالعلماء أن يترفعوا عنه ، ويبتعدوا عن ممارسته ، ثم يصف كتابه هذا (التوحيد) بأنه كتاب الشرك .

حيث يقول : (... واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذى سماه بالتوحيد وهو في الحقيقة كتاب الشرك واعترض عليها ، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات ، لأنه كان رجلًا مضطرب الكلام قليل الفهم ، ناقص العقل)...

ثم ساق كلام ابن خزيمة - رحمه الله - المذكور في (ص : ٦٥)، حول إثبات صفة الوجه لله وبقية صفات الله عز وجل .

فسبحان الله كيف يكون من يلتزم الكتاب والسنة ويتبع سلف الأمة (مضطرب الكلام ، قليل الفهم ، ناقص العقل) . وتسميته كتاب (التوحيد) كتاب الشرك بناءً على اعتقاد نفاة الصفات ، بأن التوحيد هو : نفي الصفات الإلهية ، لأن إثباتها يستلزم التشبيه ، ومن شبه الله بخلقه أشرك ، وهذا اعتقاد باطل ، لأنه لا يلزم من إثبات الصفات لله التشبيه لأن صفات كل من الخالق والمخلوق صفات تليق به .

ثم كيف يكون إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله شركًا ؟! ثم هل يكون رفض كلام الله وإطلاق العنان للأهواء والعقول المريضة أن تتخيل في ربها ما تشاء وتصفه بما لا يليق بجلاله وعظمته توحيدًا .

وما حمل الرازي وغيره على هذا الموقف المشين من السنة وعلمائها إلا تأثرهم بمذاهب أهل الكلام وتعصبهم لأهوائهم التي أدت بهم إلى الضلال وتحريف كلام الله وحمله على غير المراد به ، وتجهيل سلف الأمة .

كما نجد في العصر الحديث (زاهد الكوثرى) بنزعته وتعصبه للاتجاه نفسه يحمل على إمام الأئمة ويعتبر أنه أساء إلى نفسه بتأليفه لكتاب التوحيد [1] ، وأنه سقط بسبب كلامه في إثبات ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة من إثبات أسماء الله وصفاته .

---

(١) انظر : (٢٦٧-٢٦٨) من كتاب : الأسماء والصفات -للبيهقي .

فهل نعتبر أئمة الإسلام كالبخارى ومسلم وأحمد والدارمي وابن منده ، واللالكائي قد أساؤا وسقطوا ؟

لأن ما ذكره ابن خزيمة – رحمه الله – في كتابه هذا لا يخرج عما جاء في كتبهم بل نصوصه هي نصوصهم وكلامه كلامهم .

والذي حمل الكوثرى على الكلام في علماء السلف وتطاوله عليهم هو تعصبه عن جهل لمن يسمون بالخلف ، ممن فتنوا بعلم الكلام وفلسفة اليونان ، والتأويل الباطل .

فالكوثرى : لا يكف عن إظهار عدائه الشديد لأئمة السلف والتوحيد ، في كل تعليقاته ويتهمهم بالتجسيم والتشبيه ، وبصورة خاصة : شيخ الإسلام ابن تيمية ، مع رد شيخ الإسلام الصريح على المجسمة والمشبهة كما في العقيدة الحموية حيث قال :

(ص : ١٦٠) : « فمن قال لا أعقل علمًا ويدًا ، إلا من جنس العلم واليد المعهودين ، قيل له : فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس المخلوقين ؟

ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته ، وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه » .

* **ب – (مذهبه) :**

هو شافعي المذهب ، تلقى الفقه على أكابر علماء الشافعية أمثال :

١ – الإمام إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني ، صاحب الإمام الشافعي رحمه الله المتوفى سنة (٢٦٤ هـ) .

٢ – والفقيه العلامة : الربيع بن سليمان المرادى ، كذلك صاحب الإمام الشافعي وغيرهما من أفاضل العلماء ، فصار فقيهًا مجتهدًا يرجع إليه بالفتوى في بلده ، إلا أنه غلب عليه الإسناد وجمع طرق الحديث فصار بهما أشهر .



القســـم الثانـــي :-

(دراسة تمهيدية عن الكتاب والمخطوطة) :-

وفيه مباحث :-

* المبحث الأول : التعريف بالكتـــاب .

١ -اسم الكتاب وموضوعـــه .
٢ -سبب تأليفـــــه .
٣ -أجـــــزاؤه .
٤ -توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .
٥ -سنـــد المخطوطـــة .



* ١ -(اسم الكتاب وموضوعــه) :

أولًا : (اسم الكتاب) :

(التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل)

هذه التسمية هي المعروفة لهذا الكتاب ، وقد أجمعت النسخ الموجودة للكتاب عليها .

جاء على الورقة الأولى لكل نسخة وفي بداية كل جزء من أجزاء الكتاب في النسخ المجزأة ما يأتي :

(كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل)

تصنيف إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة .

وهكذا جاء على الورقة الأولى من كل جزء في النسخ المجزأة . كما وردت هذه التسمية في الإسناد الذى رويت به المخطوطة ، وفي السماعات الموجودة على بعض النسخ كما سيأتي مفصلًا عند ذكر توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

وعند ذكر سند المخطوطة ، حيث ورد منصوصًا على الكتاب بهذا الاسم .

ثانيًا (موضوع الكتـــاب) :

الكتاب : يبحث في المسائل الاعتقادية ، وبالذات ما يتصل منها بأسماء الله وصفاته وأحوال الناس يوم القيامة على منهج أهل الآثار ، وهم أهل الحديث ، ومذهبهم هو ما عرف بعد بمذهب (أهل السنة والجماعة) ، فهو يقول - في مقدمة الكتاب - : (... فيعلم الناظر في كتابنا هذا ممن وفقه الله تعالى لإدراك الحق والصواب ، ومنّ عليه بالتوفيق لما يحب ويرضى ، صحة مذهب أهل الآثار في هذين

الجنسين من العلم ، وقد قدم ذكرهما وهما : (إثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة ، قبل حدوث كسب العباد).

و (الإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جل وعلا) .

وقد تطرق المؤلف في هذا الكتاب إلى الحديث عن عددٍ من القضايا من أهمها :

١ – سياق ما ورد من النصوص في الكتاب والسنة في إثبات عدد من الصفات الذاتية والفعلية لله عز وجل وجعلها قاعدةً لاثبات ما ورد مشابهًا لها ، واعتبار أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر .

٢ – إثبات إمكان رؤية الله يوم القيامة للمؤمنين دون الكافرين ، في موقف القيامة وفي الجنة .

٣ – إثبات رؤية النبي – ﷺ – لربه في الدنيا ، وقد أطال في الاستدلال لها وتكلف في تأويل بعض الأدلة لإثباتها رغم أن المترجح عند أكثر العلماء أن المراد برؤية النبي ﷺ لربه الواردة في الأحاديث هي : الرؤية القلبية أو المنامية دون رؤية البصر ، لعدم ورود النص الصريح في ذلك . وقد فصلت الكلام على هذا الموضوع في موضعه عند ذكر المؤلف له .

٤ – إثبات الشفاعة يوم القيامة ، مع ذكر أنواعها والخاص منها بنبينا والرد على منكرى الشفاعة من المعتزلة والخوارج .

ويظهر من اقتصار المؤلف على هذه الجوانب – في كتابه – وتركيزه على توحيد الأسماء والصفات دون سائر أقسام التوحيد المعزوفة وموضوعاته الأخرى أن هذه القضايا هي التي انتشر الكلام والجدل حولها في عصره ، بين فرق المسلمين وعلمائهم ، مما أدى إلى كثرة الاختلاف والافتراق دون بقية الأقسام الأخرى .

وقد ذكر المؤلف ما يؤيد هذا القول في مقدمة كتابه حيث يقول :

« .... كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث ، ممن لعله كان يحضر مجالس أهل الزيغ والضلالة من الجهمية المعطلة والقدرية المعتزلة : ما تخوفت أن يميل بعضهم عن الحق والصواب من القول إلى البهت والضلال ... » .

فمن هذا يتضح أن للجهمية نفات الصفات وللمعتزلة تلاميذهم في عصر مؤلفنا

تأثيرًا ولمقالاتهم انتشارًا بدأ يظهر على بعض طلبة العلم مما جعله يقتصر من الحديث في باب التوحيد على ما تدعو الحاجة إليه ويزيل به الشبه عن طلاب العلم ومقتبسيه .

وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك عند الكلام على الحالة الدينية في عصر المؤلف .

٢ - (سبب تأليفه لهذا الكتاب) :

ذكر المؤلف - في مقدمة الكتاب - السبب الذي دفعه لتأليف مثل هذا الكتاب ، وكراهيته الكتابة في مثل هذه القضايا مما له صلة بعلم الكلام والتأويلات الباطلة ، وأن ميله ورغبته كانت منصبةً على نشر العلم وتعليمه لمن يطلبه ويرغب فيه ، وعلى التأليف لكتب الفقه ، التي لا صلة لها بعلم الكلام ، والخوض في أقدار الله وأسمائه وصفاته .

مع أنه لم يهمل هذا الجانب ، حيث كان يعقد مجالس المناظرة لمناقشة أهل الأهواء من الجهمية والمعتزلة وإفحامهم والرد عليهم ويعتقد أن هذا الأسلوب يكفي في إظهار الحق وإقناع طالبيه ، وإزالة الشبه التي ينشرها أهل الأهواء بين طلاب العلم .

فهو يقول : « أما بعد فقد أتى علينا برهة من الدهر وأنا كاره للاشتغال بتصنيف ما يشوبه شيء من جنس الكلام من الكتب ، وكان أكثر شغلنا بتصنيف كتب الفقه التي هي خلو من الكلام في الأقدار الماضية التي قد كفر بها كثير من منتحلي الإسلام ، وفي صفات الله عز وجل التي قد نفاها ولم يؤمن بها المعطلون ، وغير ذلك من الكتب التي ليست من كتب الفقه ، وكنت أحسب أن ما يجرى بيني وبين المناظرين من أهل الأهواء في جنس الكلام في مجالسنا ويظهر لأصحابي الذين يحضرون المجالس والمناظرة من إظهار حقنا على باطل مخالفينا كاف عن تصنيف الكتب على صحة مذهبنا وبطلان مذاهب القوم ، وغنية عن الإكثار في ذلك .

فلما حدث في أمرنا ما حدث مما كان الله قد قضاه وقدر كونه مما لا محيص لأحد ولا موئل عما قضى الله كونه في اللوح المحفوظ قد سطره من حتم قضائه .

فمنعنا من الظهور ونشر العلم وتعليم مقتبسي العلم بعض ما كان الله قد أودعنا من هذه الصناعة .

كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث ممن لعله كان يحضر مجالس أهل الزيغ والضلالة من الجهمية والمعطلة والقدرية المعتزلة ما تخوفت أن يميل ببعضهم عن الحق والصواب من القول إلى البهت والضلال في هذين الجنسين من العلم (بإثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة ، قبل حدوث كسب العباد)، و (الإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جل وعلا مما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبما صح وثبت عن نبينا ﷺ بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولًا إليه ﷺ)، فيعلم الناظر في كتابنا هذا ممن وفقه الله تعالى لإدراك الحق والصواب ومنّ عليه بالتوفيق لما يحب ويرضى صحة مذهب أهل الآثار في هذين الجنسين من العلم وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع ، الذين هم في ريبهم وضلالهم يعمهون .... وقد بدأت كتاب القدر فأمليته وهذا كتاب التوحيد .

٣ –(أجزاؤه) :

أجزاء الكتاب : ثمانية ، كما جاء في ثلاث نسخ من نسخ الكتاب التي أثبت ناسخوها التجزئة ، أما بقية النسخ فقد أهمل ناسخوها ذكر الأجزاء ، والنسخ المجـزأة هـــي :

١ –(نسخة : كوبريلي) : قسمت هذه النسخة إلى ثمانية أجزاء متقاربة ، أعلاها خمس وعشرون ورقة ، وأدناها ثماني عشرة ورقة بما فيها الورقة الأولى ، التي ذكر فيها سند النسخة ، هذا بالنسبة للأجزاء السبعة الأولى ، أما الجزء الثامن والأخير من هذه النسخة : فقد بلغت أوراقه (٢٨) ورقة تقريبًا ، وقد سقط من آخره ما يقرب من سبع ورقات ، حيث لم يوجد منه سوى (٢٢) ورقة .

٢ – نسخة (قسطموني) : جزئت بنفس الأجزاء كما أن أوراق كل جزء تتراوح ما بين (١٨ – ٢٤) ورقة (لوحة) ، إلا الجزء الثامن ، فقد بلغت أوراقه (٢٨) ورقة وهي نسخة تامة .

٣ – نسخة (مكتبة الاسكوريال)– باسبانيا –، : قسمت بنفس العدد ، إلا أنه

لا يوجد منها إلا من منتصف الجزء الرابع ، والباقي منه ست ورقات ونصف ، أما بقية الأجزاء فتتراوح أوراق كل جزء ما بين (١٢ – ١٤) ورقة .

٤ – (توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه) :

تتأكد لنا نسبة (كتاب التوحيد) إلى ابن خزيمة – رحمه الله – مما يأتي :

أولًا : مما ذكره المؤلف في مقدمة هذا الكتاب حيث قال :

(..... وقد بدأت كتاب القدر ، فأمليته وهذا كتاب التوحيد ..) .

ثانيًا : التصريح باسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه ، على الصفحة الأولي من كل نسخة وجزء .

حيث جاء على الورقة الأولى من نسخة (قسطموني) – الجزء الأول من كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل التي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله ، الذي أنزله على نبيه المصطفى ﷺ وعلى لسان نبيه بنقل الأخبار الثابتة الصحيحة بنقل العدول عن العدول ، من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار ، تصنيف أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابورى .

وكذلك جاء هذا النص على الصفحة الأولى من نسخة (كوبريلي) .

وعلى الصفحة الأولى من النسخة (الالمانية) : « كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل التي وصف بها نفسه في محكم تنزيله الذي أنزله على رسوله .... تصنيف إمام الأئمة أبي بكر محمد بن خزيمة رضي الله عنه وأرضاه .

وجاء نفس هذا الكلام على الورقة الأولى من نسخة (المكتبة التيمورية) .

كما جاء ذلك في بداية كل جزء من أجزاء الكتاب الثمانية ، بهذا الشكل (الجزء – كذا – × من كتاب التوحيد ، تصنيف أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (رحمه الله) .

كما جاء في بداية كل جزء من الأجزاء المتبقية من نسخة (الاسكوريال) كذلك .

* **ثالثًا : (السند المتصل إلى المؤلف** الذي روى به الكتاب ، كما سيأتي في سند المخطوطة أنها رويت بثلاثة أسانيد :

الأول : برواية (أحمد بن عبد الله الأبنوسي ، من طريق الإمام أبي عثمان إسماعيل ابن عبد الرحمن الصابوني ... إلى المؤلف .

الثاني : برواية الحافظ ابن حجر – بسنده – إلى أبي عثمان الصابوني إلى المؤلف .

الثالث : سماع الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي بسماعات وإجازات متصلة إلى أبي عثمان الصابوني ... إلى المؤلف .

* **رابعًا : مما ورد في الكتب التي نقلت عنه :**

إلى جانب ما ذكره المؤلف في مقدمته ، وما ذكره النساخ في بداية كل نسخة ، والسند المتصل الذي رويت به المخطوطة ، والسماعات على بعض النسخ ، إلى جانب ذلك كله ، فإن عددًا من العلماء ذكروا هذا الكتاب ونقلوا منه كثيرًا في كتبهم . منهم :

شيخ الإسلام – ابن تيمية رحمه الله – نقل عنه في الفتاوى (٣/١٩٢)، فقال – في معرض إثباته سماع (ابن عميرة) من (الأحنف) ، : « فقلت : قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد ، الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل ، موضولًا إلى النبي – ﷺ – قلت : والإثبات مقدم على النفي ، والبخارى إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف ، ولم ينف معرفة الناس بهذا فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد ، كانت معرفته وإثباته مقدمًا على نفي غيره وعدم معرفته) .

وكذلك نقل عنه في غير هذا الموضوع من الفتاوى .

انظر : الفتاوى (٥/٢٤)، و (٦/٤٦٧ ، ٦/٤٩٧)، فقد ذكره بهذا الاسم . وانظر (ص : ٧٣) من جواب أهل العلم والإيمان ، فقد ذكره كذلك .

٢ – والإمام الحافظ ابن حجر ، قال – في الفتح : (١٣/٣٤٥) في معرض حديثه عن الجهم بن صفوان رأس الجهمية (وأخرج ابن خزيمة في التوحيد ....) .

وكذلك في الفتح (١٤ / ٤١٣) عند الكلام على اختلاف الأحاديث في تقدير المسافة بين السماء والأرض وبين كل سماء وسماء قال : (... ويزاد هنا ما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ...) .

٣ – والحافظ الذهبي – في الميزان – ٢ / ٢٦٧) ، عند الكلام على ترجمة شرحبيل بن الحكم عن عامر بن نائل ، قال : قال ابن خزيمة : أنا أبرأ من عهدتهما ، روى لهما في (التوحيد) .

٤ – وشارح الطحاوية العلامة ابن أبي العز الحنفي (المتوفى ٧٩٢ هـ) ، قال – أثناء كلامه عن المفاضلة بين البشر والملائكة :– (ومنه ما رواه إمام الأئمة محمد بن خزيمة بسنده في كتاب (التوحيد) عن أنس رضي الله عنه ، قال : ....).

٥ – وقال السيوطي : (أخرجه الدارمي في مسنده وابن خزيمة في التوحيد ....) . انظر تنزيه الشريعة المرفوعة (١ / ١٣٩) .

٦ – وقال صاحب كتاب (معارج القبول) الشيخ حافظ الحكمي (٢ / ٤٢٤) : قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة – رحمه الله تعالى – في كتاب التوحيد – بعد سرده أحاديث الشفاعة ....) .

٧ – وقال صاحب كتاب لوامع الأنوار البهية – الشيخ محمد بن أحمد السفاريني – عند كلامه على إثبات صفة النزول (وقال الإمام الحافظ أبو بكر بن خزيمة (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام ، رواها علما ... الخ). وهذا الباب هو الباب رقم (٣١) من هذا الكتاب .

خامسًا : (مما ذكره المفهرسون) :

١ – ذكر (كارل بروكلمان) في : « تاريخ الأدب العربي » ، (كتاب التوحيد هذا) وعده من آثار المؤلف (٢ / ٣٧) من الترجمة العربية .

٢ – وكذلك فؤاد سزكين – في تاريخ التراث العربي : (٣٣ – جـ ٤ / ١) ، طبعة جامعة الإمام – عام (١٤٠٣ هـ) .

٣ – كما ذكره : عمر رضا كحالة – في معجم المؤلفين (٤٠ / ٩) .
٤ – وحاجي خليفة – في كشف الظنون (١٤٠٦ / ٢) .
٥ – والبغدادي – في هداية العارفين (٢٩ / ٢) .

٥ –: (سند المخطوطـــة) :

ورد ذكر الإسناد في ثلاث من النسخ الخطية وهن أقدم نسخ الكتاب ، أما النسخ الأخرى فقد أهملت ذكر السند ، ولذكر السند أهمية كبيرة في إثبات الكتاب وتوثيقه ، وفي صحة نسبته إلى مؤلفه خاصةً إذا كان رواته من العلماء الأعلام ، مثل كتابنا هذا .

وقد جاء سند هذا الكتاب على الصفحة الأولى من نسخة (كوبريلي) و (قسطموني) ، وفي بداية كل جزء من أجزائهما ، كما جاء في بداية الأجزاء المتبقية من نسخة (الاسكوريال) .

*** الإسناد الأول :**

فعلى الصفحة الأولى من النسختين هذا الإسناد ، رواية الشيخ أبي الحسين المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي أحسن الله توفيقه ، عن أبي مسلم عمر بن علي بن الليث البخارى ، الحافظ ، عن شيخه عن ابن المصنف ، عن المصنف ، سماعًا لأحمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن موسى الأبنوسي ، نفعه الله بالعلم في الدنيا والآخرة ، آمين .

– ورواية الشيخ الفقيه الزاهد أبي القاسم زياد بن علي بن هرون ، الجيلي ، عن الشيخ الحافظ أبي مسلم البخارى أيضًا سماعًا لأحمد بن عبد الله الأبنوسى .

وإجازةً لأحمد بن عبد الله بي علي الأبنوسى من الوزير نصير الإسلام ظهير الدين أبي الفتح محمد بن أبي الليث أحمد بن محمد الرازى ، أحد وزراء السلطان محمد بن ملك شاه بالإجازة له عن الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني .

– وناولني الشيخ الفقيه العالم أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الطبراني من نسل

عمر بن العلاء الذي قال فيه الشاعر غنية لها عمر .

وقد جاء هذا السند مكررًا في بداية الجزء الخامس والسادس ، والسابع .

وورد الجزء الأول منه مكررًا في بداية الجزء الثاني ، والثالث والرابع .

- جاء على الصفحة الثانية من النسختين (كوبريلي) و (قسطموني) ، جاء السند مسلسلًا من أحمد بن عبد الله الأبنوسي إلى المؤلف هكذا . :

(قرأت على الشيخ الجليل أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي ، قلت له : أخبركم أبو مسلم عمر بن علي بن الليث البخارى الحافظ قرأه عليه في جامع المنصور في جمادى الأولى سنة ستين وأربع مائة ، قيل له : أخبركم الأستاذ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني كتابًا .

وأخبرنا عنه بالقراءة الشيخ الحافظ أبو محمد الحسن بن محمد السمرقندى ، قال : ثنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن أبي بكر بن إسحاق ، بن خزيمة ، في شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثلاث مائة .

وقد جاء هذا السند مكررًا في بداية الورقة الثانية من كل جزء .

* **الإسناد الثاني :**

وجاء على الورقة الأخيرة من النسخة (قسطمون) سند آخر من طريق الحافظ ابن حجر - رحمه الله - وهو : (قال شيخنا الإمام شيخ الإسلام ، قاضي القضاة بمصر والشام : شهاب الدين ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي - رحمه الله تعالى - أخبرنا بهذا الكتاب وهو (التوحيد) لابن خزيمة أبو العباس أحمد بن علي ابن عبد الحق ، إجازةً مشافهةً ، قال : أنبأنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزى إجازةً إن لم يكن سماعًا .

قال : أخبرتنا زينب بنت مكي سماعًا ، عن أبي روح ، أنبأنا محمد بن إسماعيل ابن الحسين بن حمزة، أنبأنا الأستاذ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، أنبأنا أبو طاهر محمد بن الفضل ، ابن أبي بكر ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، أنا جدى ، فذكره .

نقلت ذلك من خط نقل من خط شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي – رحمه الله تعالى – .

وجاء في نهاية النسخة الألمانية هذا السماع (سمع جميع كتاب التوحيد هذا من غير هذه النسخة على الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى ، سماعةً بقراءته له على أم محمد زينب ابنة عمر ، وذلك في مجالس آخرها يوم الجمعة (١٩ شوال سنة (٦٩٣ هـ) . بمدينة بعلبك بإجازتها من أبي روح عبد العزيز بن محمد بن الفضل الهروى ، سماعةً من أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل بن الحسين بن قرة ، بإجازته من أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، سماعةً من أبي طاهر محمد بن الفضل بن أبي بكر محمد بن إسحاق رضي الله عنه سماعةً من جده أبي بكر .

فقرأه الإمام برهان الدين أبو محمد إبراهيم بن أحمد بن المحب ، في جمع منهم :

١ – ناصر الدين محمد بن طولون ، ومن خطه لخصت .

٢ – الإمام العمدة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عماد الدين .

٣ – وأبو العباس أحمد بن عبد الهادى بن عبد الجبار بن عبد الحميد بن عبد الهادى المقرى .

٤ – والإمام محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمد .

٥ – ومحمد بن باص الأندلسي .

٦ – وشهاب الدين أبو الشيخ أحمد بن الشيخ محب الدين ، أبو محمد ، عبد الله ابن أحمد بن المحب، وآخرون ، وصح ذلك في ثلاثة مجالس آخرها يوم خامس عشر من ذى الحجة ، سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، داخل باب الفرج بدمشق والحمد لله وحده .

المبحث الثاني :

(دراسة تقويمية للكتاب) :

وتشمـــــل :

١ ـ منهج المؤلف في الكتاب .

٢ ـ قيمته العلميـــــة .

٣ ـ المآخذ على الكتـــاب .

١ -(منهج المؤلف في الكتاب) :

لقد سلك (ابن خزيمة) في تأليفه للكتاب (التوحيد) مسلك المحدثين ، في سوق الأسانيد إلى كل متن مقتديًا في ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه في هذا الميدان .

وذلك : أن طريقتهم في التأليف لإثبات العقيدة الإسلامية ، أو الرد على الشبه الواردة عليها كانت بإيراد النصوص الشرعية من الكتاب الكريم أو السنة المطهرة وآثار الصحابة والتابعين بأسانيدها ، تحت عناوين دالة على المعنى المراد من إيراد ذلك النص .

- كما يذكرون أحيانًا الأقوال المخالفة لما عليه السلف كما يذكرون النصوص التي فيها بيان الحجة على المخالف .

ونهج (ابن خزيمة) في هذا الكتاب نفس المنهج، وسأذكر أمثلةً لمن كتب في مسائل التوحيد ، سواء بهذا الاسم أو بغيره ، قبل ابن خزيمة أو بعده بقليل ، سواء كان كتابًا مستقلًا ، أو ضمن مصنف عام .

* فممن ألف في التوحيد كتابًا مستقلًا :

١ -الإمام الحافظ ابن منده (٣١٠-٣٩٥ هـ)، في كتابه (التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد) . فقد بدأه بقوله : (ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ، ودل على وحدانيته عز وجل ، وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد) .

ثم أتبعه بذكر الآيات والأحاديث الدالة على وحدانية الله تعالى المتضمنة لصفاته . ثم سار على هذا النهج في بقية الكتاب يذكر الترجمة ثم يسوق ما يدل عليها ويناسبها من الآيات والأحاديث .

٢ -والإمام الحافظ الدارقطني (٣٠٦-٣٨٥ هـ)، في كتابيه (الصفات) و (النزول) .

فقد ابتدأه بذكر الأحاديث التي تثبت صفة (الرجل) لله عز وجل ، ثم اليد ، ثم الإصبع ، وغيرها من الصفات .

وكذلك عمل في كتاب (النزول)، حيث ساق فيه مرويات عدد من الصحابة في إثبات هذه الصفة مبتدئًا بذكر مرويات علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، حيث قال : (ذكر الرواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ) .

*** أما من كتب في التوحيد ضمن مصنف عام :**

١ – الإمام البخارى ، فقد ضمن جامعه الصحيح (كتاب التوحيد)، بدأه بقوله : (باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى) ثم أورد الأحاديث التي تثبت هذا المعنى .

ثم أتبعه بالأبواب الأخرى في مسائل التوحيد التي تحدث عنها ذاكرًا تحت كل باب ما يتصل به من الآيات والأحاديث التي عنون لها ومن هذه الأبواب مثلًا :

آ – (باب قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا ﴾ ﴿ وإن الله عنده علم الساعة ﴾ ﴿ وأنزله بعلمه ﴾ ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ ﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾ ثم ذكر الأحاديث التي تثبت صفة العلم لله عز وجل بعد هذه الترجمة .

ب – (باب : ﴿ وكان الله سميعًا بصيرًا ﴾ ....) .

جـ – (باب : – قول الله تعالى : ﴿ السلام المؤمن ... ﴾

د – (باب : قوله تعالى – ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ .

هـ – (باب : قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي .. ﴾ .

وكل باب من هذه الأبواب : يذكر فيه ما يناسبه من الأحاديث الواردة .

– الإمام مسلم كذلك ، بدأ كتابه الصحيح بـ (كتاب الإيمان) ، ومن أبوابه :

* باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة) .

* (باب قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رأه نزلةً أخرى ﴾ وهل رأى النبي – ﷺ ربه ليلة الاسراء) .

* (باب في قوله – عليه السلام : (إن الله لا ينام ، وفي قوله : حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) .
* (باب : إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار) .

ويورد بعد كل باب الأحاديث التي تثبت ما ترجم له في الباب .

وتبعهم الأئمة على هذا المنوال ، فأبو داود – في كتابه السنن (٩٧ / ٥) ، يقول : (باب في الرؤية) : ثم يورد حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، (كنا مع رسول الله ﷺ جلوسًا فنظر إلى القمر ليلة البدر ... فقال : إنكم سترون ربكم ....).

وفي (ص : ١٠٠ / ٥) ، يقول : (باب في الرد على الجهمية) . ثم ذكر فيه الأحاديث الدالة على صفة اليدين له وكذلك أحاديث النزول .

ثم أخذ يسرد الأبواب المتعلقة بمسائل من التوحيد التي خالفت فيها بعض الفرق مذهب أهل السنة والجماعة .

وكذلك صنع الحافظ (ابن ماجة) في كتابه : السنن (٦٣ / ١) ، قال : (باب فيما أنكرت الجهمية) ، ثم أورد حديث جرير بن عبد الله ....

وحديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد ، رضي الله عنهم ، عن رسول الله – ﷺ – ، في إثبات الرؤية لله عز وجل يوم القيامة ، ثم يسوق الأحاديث في مسائل أخرى تثبت ما أنكره الجهم وأتباعه .

• وابن خزيمة – مصنف كتاب التوحيد – هذا الذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته واحد من هؤلاء الأئمة الأعلام . فقد انتظم كتابه طريقتهم وسلك مسلكهم ، كما ذكرت من قبل ، فهو يذكر العنوان ثم يورد الآيات والأحاديث الدالة على ذلك بأسانيدها أسوة بهم .

وقد بدأ كتابه هذا بقوله (فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا – ذكر نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه وعز عن أن يكون عدمًا لا نفس له) .

قال جل ذكره لنبيه ﷺ : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ .

ثم أورد بعد هذه الآية عدداً من الآيات التي تثبت هذه الصفة لله عز وجل . وذكر بعد ذلك الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ فقال : (باب ذكر البيان من خبر النبي ﷺ في إثبات النفس لله على مثل موافقة التنزيل الذي بين الدفتين مسطور ، وفي المحاريب والمساجد والبيوت والسكك مقروء).

وذكر فيه أحاديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (يقول الله أنا مع عبدى ....)، وأنا عند ظن عبدي بي ...)، (لما خلق الله الخلق كتب ..)، وغير ذلك من الأحاديث .

وهكذا منهجه في معظم كتبه . كما أنه يورد أحيانًا طرفًا من أقوال بعض الفرق ويرد عليهم ، فهو يقول في الباب الأول من هذا الكتاب : -بعد إيراده للآيات والأحاديث الدالة على إثبات النفس لله : (.. وكفرت الجهمية بهذه الآى،وهذه السنن ، وزعم بعض جهلتهم أن الله تعالى إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه ، وزعم أن نفسه غيره ، كما أن خلقه غيره ، وهذا لا يتوهمه ذو لب وعلم فضلًا عن أن يتكلم به ...)

وقد يورد الحديث الواحد تحت أبواب متعددة مستدلًا من الحديث بجملة جاءت فيه تدل على ما جاء في العنوان الذى ذكره ، ويظهر هذا جليًا لمن يقرأ هذا الكتاب .

كما أنه يقوم أحيانًا بالجمع بين الأحاديث التي يفهم منها التعارض ويؤلف بينها ، مما يزيل الشبه ويدفع اللبس .

كما يظهر أنه يسلك في تأليفه لكتبه مسلك الإملاء ، إذ تتكرر كلمة الإملاء في كتاباته فهو يقول في مقدمة كتابه هذا :

(وقد بدأت كتاب القدر فأمليته وهذا كتاب التوحيد) ، وقال في الصفحة (٢٩) من هذا الكتاب : (قد أمليت طرق هذا الحديث في أبواب الوصايا .

وقال في الصفحة (٣٣) : (قد أمليت طرق هذا الحديث في باب صبر الإمام على أذى الرعية) .

وقال في (الصفحة : ١٢٣) : (الحديث بطوله قد أمليته في كتاب القدر) .

وقال في الصفحة (٢٤٧) : (وقد أمليت هذا الباب في كتاب ذكر نعيم الجنة) .

وهكذا في معظم هذا الكتاب يشير إلى أنه قد أملاه في موضع كذا .

١ - وقال في الصفحة (٢٤٩ / ١) ، من صحيحه (... وأمليت مسألة قدر جزئين في الاحتجاج في هذه المسألة ....) .

٢ - وقال (في : ص : ٢٧٢ / ١)، من صحيحه قال : (قد أمليت خبر هشام عن أبيه ، عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ ...).

٣ - وقال (في ص : ٢٨٣ / ١) قال : وإنما تركت إملاء خبر أبي العالية عن عائشة) أن النبي ﷺ ...).

٤ - وقال (٢٨٤ / ١) : قال : (وإنما أمليت هذا الخبر وبينت علته في هذا الوقت مخافة أن يفتتن بعض طلاب العلم برواية الثقفي .. الخ) . ومثل هذا الأسلوب يتكرر كثيرًا في صحيحه .

٢ - قيمة الكتاب العلمية :

يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المصنفة في العقيدة عند أهل السنة والجماعة .

فمؤلفه من متقدمي علماء السنة ، فقد عاش في القرن الثالث ، أحد القرون المفضلة .

وهو يروى كتبه بالسند المتصل إلى النبي ﷺ ، ومنها هذا الكتاب ، وقد عاصر كثيرًا من شيوخ البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى ، وتلقى عنهما والتقى بالبخارى ومسلم وأخرجا له في غير الصحيح .

ثم إن هذا الكتاب يشتمل على ما يزيد على سبعمائة وخمسين حديثًا بالإضافة إلى عشرات الأسانيد .

الأمر الذي جعل كثيرًا من علماء السلف يعتمدون على هذا الكتاب ، وينقلون منه كثيرًا في كتبهم التي تقرر عقيدة السلف ، كما مر معنا في توثيق نسبة الكتاب .

ثم إن مؤلفه يعتبر من أكبر علماء السنة الذين انتهت إليهم الرئاسة في العلم والفقه بلا منازع كما كان مشهورًا بمناظرته ومجادلته لأهل الأهواء وإفحامهم ، فاستحق بذلك لقب إمام الأئمة في عصره .

كما أن المؤلف يورد كثيرًا من الأحاديث من غير طرق الكتب الستة ، فهو بهذا يعتبر كالمستخرج عليها .

٣ـ المآخذ على الكتاب :

إن الإقدام على نقد عمل العلماء ولاسيما من اشتهر منهم بغزارة علمه وسعة اطلاعه من الأمور الصعبة .

ولكن ليست هناك حيلة في عدم ركوبها فمن المعلوم أن عمل البشر غير المعصومين عرضةٌ للخطأ ، ولذلك فلا تمنع مكانة العالم أن يقال أخطأ في كذا .

كما لا يمنع خطؤه في جانب الاستفادة منه في جوانب أخرى . وقل أن نجد عالمًا لا يخطئ ، كما أن النقد الذي يوجه إليه عرضةٌ للخطأ أيضًا ، إذ العصمة لم يجعلها الله عز وجل إلا لأنبيائه ورسله .

وهذا الكتاب (التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل) لإمام الأئمة الحافظ ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ توجد عليه بعض الملاحظات كأى واحد من الكتب البشرية ، التي لا تخلو من صفات النقص والخطأ .

وقد سبق أن تحدثت عن محاسن الكتاب عند ذكرى لموضوع الكتاب ومنهج المؤلف فيه ، وعند الحديث عن قيمته العلمية .

وهنا سأذكر الملاحظات على المصنف في تأليفه لهذا الكتاب ، وهي محدودة وتنحصر في ناحيتين :

١ ـ الناحية الفنية .

٢ ـ الناحية العلمية .

أولًا : الناحية الفنية :

يلاحظ على المؤلف الإكثار من الأبواب للموضوع الواحد ، يظهر ذلك عند

كلامه على إثبات اليد لله عز وجل ، حيث عقد أربعة عشر بابًا لهذا الموضوع . إذ يجعل لمجموعة أحاديث – بل أحيانًا للحديث الواحد بابًا ، مستقلًا به .

فقد وضع بابًا في بداية الموضوع فقال :

(باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا) . وساق تحته عددًا من الآيات المتعلقة بالموضوع ثم قال :

(باب ذكر البيان من سنة النبي ﷺ على إثبات يد الله جل وعلا) .

وذكر تحته حديث محاجة موسى لآدم عليهما السلام من طرق متعددة بلغت ثلاثة عشر طريقًا .

ثم قال : (باب ذكر قصة ثابتة في إثبات يد الله جل ثناؤه بسنة صحيحة عن النبي – ﷺ – بيانًا أن الله خط التوراة لكليمه موسى ، وإن رغمت أنوف الجهمية) .

وأعاد فيه احتجاج آدم وموسى المذكور في الباب السابق له ، وأضاف له حديث الشفاعة ومجيء الناس لآدم وقولهم له : (أنت أبو البشر خلقك الله بيده ....) .

ثم قال : (باب سنة ثالثة في إثبات اليد لله الخالق البارئ) وساق تحته حديثًا واحدًا من طريقين وهذا الحديث هو : (لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتي تغلب غضبي) .

ثم قال : (باب ذكر سنة رابعة مبينة ليدى خالقنا عز وجل) : وساق تحته حديثًا واحدًا كذلك ، ثم استمر في ذكر الأبواب كالتالي :

(باب ذكر سنة خامسة) .

(باب ذكر سنة سادسة) .

(باب ذكر سنة سابعة) .

إلى أن قال : (باب ذكر السنة الثالثة عشرة في إثبات يدى الله عز وجل) .

وحق هذه الأبواب أن تدمج في باب واحد ، يكون في بداية الموضوع ، ويجعل تحته فصول أو مباحث :

فصل للأدلة الواردة من الكتاب .
فصل للأدلة الورادة من السنة .
ومبحث لأدلة إثبات اليد لله عز وجل .
ومبحث لأدلة إثبات اليدين لله عز وجل .

فبهذا يكون هناك ربط بين الأدلة وتنسيق بينها مع عدم التشويش على القارئ .

وقد كرر نفس العمل عند كلامه على إثبات صفة الكلام لله عز وجل ففيه أبواب مكررة ومتداخلة .

وكذلك عند كلامه على إثبات الرؤية لله عز وجل يوم القيامة ، وعند كلامه على الشفاعة وأقسامها ومستحقيها .

وقد تركت ذكر الأبواب هنا ووجه تكرارها وتطابقها أو مع وجود بعض الفوارق اليسيرة التي لا توجب وضعها تحت باب مستقل خوفًا من التطويل ، وإدخال السآمة على القارئ ، لأن الأمر واضح من مجرد تصفح الكتاب ، والاطلاع على أبوابه .

كما أنه لم يلتزم ذلك في جميع موضوعات الكتاب ، بل أحيانًا يسوق الموضوع تحت باب واحد ، أو بابين ، كما فعل عند الكلام على إثبات صفة النفس لله عز وجل .

وصفة الوجه ، وصفة النزول ، وغيرها ، رغم كثرة الأحاديث التي ساقها في هذه الصفات خاصة : صفة الوجه والنزول ، والعلو الاستواء ، ورؤية النبي ﷺ لربه وتنوعها .

والأبواب غالبًا كما هو في عرف الباحثين والمؤلفين – لا توضع إلا للموضوع الكبير الذى يندرج تحته عدة فصول ، ويدخل تحت الفصول عدد من المباحث .

ولعل لإمام الأئمة عذره في هذا ، حيث كان هو وعدد من العلماء في عصره يسلكون منهج التعليم المباشر لطلاب العلم ، والحرص على جمع أكبر قدر ممكن من السنة وتلقيها من أفواه علمائها ولم يكن همهم الاشتغال بالتأليف ، إلا لما احتاجوا إليه في إثبات حقيقة الدين والرد على المخالفين ودحض شبه المنحرفين : ولم يكن همهم

أيضًا – التنسيق والترتيب ، بقدر ما يهمهم إثبات الحق ودحض شبه الخصوم ، أو جمع العلم في كتاب ينتفع به الناس .

ونلمس ذلك عند بعض من سبق المؤلف أو جاء بعده ، كالإمام البخارى في صحيحه ، وابن منده في كتاب (التوحيد)، والإيمان ، والدارقطني في كتابيه (الصفات ، والنزول) وغيرهم .

وقد أجاب أحد العلماء على سؤال حول الصحيحين بما يؤيد هذا الكلام حيث قال :

تشاجر قوم في البخارى ومسلم ... كثيرًا ، وقالوا أى ذين تقدموا ؟

فقلت : لقد فاق البخارى صحةً ... كما فاق في حسن الصياغة مسلم

وحسن الصياغة : هو الترتيب والتنظيم ، ولم يكن ذلك قصورًا من أولئك الفطاحل ، من العلماء ولو اعتنوا به لجاءوافيه بالعجاب ، ولكن صرفهم عنه اشتغالهم بالأصل عن الفرع .

الناحية العلميـــــة :

أولًا : روايته عن بعض الضعفاء والمتروكين :

لقد اشترط الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – أنه لا يروى في هذا الكتاب إلا عن الثقات ، العدول بالسند المتصل كما قال في مواضع من هذا الكتاب .

فقد قال في صفحة (٥١) : (ولست أحتج في شيء من صفات خالقي إلا بما هو مسطور في الكتاب ، أو منقول عن النبي – ﷺ بالأسانيد الثابتة الصحيحة) .

وقال في (صفحة : ٣٩٩) :

(... أو منقول عن النبي – ﷺ بالأسانيد الصحيحة الثابتة) .

وقال في صفحة (١٣٧) :

(لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ، ولا نحتج أيضًا في صفات ربنا بالآراء والمقاييس ...) .

وقال في صفحة (١٣٧) :

(... لأنا لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولًا إليه) .

كما جاء هذا الشرط منصوصًا عليه في بداية الجزء الأول ، من النسخ المجزأة ، وعلى الصفحة الأولى من النسخ التي أهملت ذكر الأجزاء .

فعلى الصفحة الأولى من نسختي (قسطموني وكوبريلي) جاء هذا النص ، : (الجزء الأول من كتاب التوحيد وثبات صفة الرب عز وجل التي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله الذي أنزله على نبيه المصطفى ﷺ ، وعلى لسان نبيه بنقل الأخبار الثابتة الصحيحة نقل العدول عن العدول ، من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار .

كما جاء هذا النص على الصفحة الأولى في بقية النسخ ابتداءً من قوله : (كتاب التوحيد ....) الخ .

فمن ظاهر النصوص المتقدمة نفهم أن الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – قد التزم الصحة فيما يثبته في كتابه هذا من الأحاديث وأنه لا يروى إلا عن العدول .

ولكن عند دراستي لأسانيده وجدت أنه قد روى عن عدد من الضعفاء ، والمجهولين ، بل والمتروكين أيضًا .

كما أنه قد ذكر أشخاصًا بالاسم ، وأنه لا يحتج بهم ومع ذلك أوردهم في أسانيد دون أن يسقط الاحتجاج بهم كعادته مع غيرهم .

قال الذهبي : (وقد كان هذا الإمام جهبذا « بصيرًا » بالرجال فقال فيما رواه عنه أبو بكر محمد بن جعفر – شيخ الحاكم – لست أحتج بـ :

١ – شهر بن حوشب .

٢ – وحريز بن عثمان لمذهبه .

٣ – ومقاتل بن حيان .

٤ – وأشعث بن سوار .

٥ – وعلى بن زيد بن جدعان .

٦ –وعاصم بن عبد الله .
٧ –وأبو حذيفة النهدى .
ثم سمى خلقًا دون هؤلاء في العدالة، فإن المذكورين احتج بهم غير واحد). فأنت ترى أنه ذكر في هذه القائمة رجالًا (لا يحتج بهم) ومع ذلك أوردهم في أسانيد في هذا الكتاب راويًا لهم، كشهر بن حوشب، كما في الحديث رقم (١٠٩)، وأشعث ابن سوار برقم (١٣٨)، وعلى بن زيد بن جدعان برقم (١٩٨).

آ –وممن روى عنه مثلًا وهو ضعيف ، بالإضافة إلى هؤلاء :

١ –سالم بن سالم البلخي . (٣٣٧) .
٢ –هلال بن أبي هلال . (٤٧٩) .
٣ –عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي (٤٣٨) .
٤ –رشدين بن كريب . (٤٦٢) .
٥ –إبراهيم بن المهاجر بن مسمار (٢٣٦) .
٦ –عبد الرحمن بن عثمان البكراوى (٢٨٠) .
٧ –المصعب بن أبي ذئب . (٢٠٠) .

فعند الرجوع إلى تراجم هؤلاء الرواة ، حسب أرقام الأحاديث الموضحة أمام كل منهم نجد أن معظم رجال الجرح والتعديل قد أجمعوا على تضعيفهم .

ب –وممن روى عنه وهو مجهول :

١ –عقبة بن أبي الحسناء . (٣٣٧) .
٢ –عبد الله بن قيس الأشعرى . (٤٧١) .

جـ–وممن روى عنه وهو متروك :

١ –بشر بن الحسين أبو محمد الأصبهاني (٣٣٦) .
٢ –خارجة بن مصعب . (٣٣٧) .
٣ –زياد ، أو زيادة بن محمد الأنصارى (١٩٩) .
٤ –أشعث بن سعيد الأنصارى (٢٦٥) .
٥ –عمر بن حفص بن ذكوان . (٢٣٦) .

وبالرجوع كما أسلفت إلى تراجم هؤلاء نجد أن ابن خزيمة –رحمه الله– قد روى عن هؤلاء دون أن يشير إلى ضعفهم ، أو جهالتهم أو تركهم كعادته في بعض الرواة .

كما قال في (ص : ١٩٣) : (وأنا أبرأ من عهدة شرحبيل بن الحكم وعامر بن نائل ، وقد أغنانا الله ... عن الاحتجاج في هذا الباب بأمثالهما .

وفي صفحة (٥٤٥) :

(وهذا الشيخ سعيد بن سويد لست أعرفه بعدالة ولا جرح ، وعبد الرحمن بن إسحاق هذا هو أبو شيبة الكوفي ضعيف الحديث .. إلخ .

وقال في (ص : ٥٦٢) :

(لو كنت ممن استحل الاحتجاج بخلاف أصلي واحتججت بمثل مجالد ..) قلت ومجالد هذا ضعيف ، ذكر ذلك البخارى والدارقطني ، وقال أحمد : « ليس بشيء » ، وقال ابن معين وغيره : لا يحتج به ، وقال النسائي : ليس بالقوى) . ميزان الاعتدال : ٣/٤١٨) ، التهذيب (١٠/٣٩) .

وقال في صفحة (١٠٦٣) :

(ليس هذا الخبر من شرطنا ، ولا خبر نبيط عن جابان ، لأن جابان مجهول ، وقد أسقط من هذا الإسناد نبيطا) .

ومع هذا نجد أنه قد روى عن بعض المجهولين والضعفاء والمتروكين كما تقدم ، دون أن يشير إليهم كما فعل هنا ، وهذا قد يوهم أنهم عدول كما ورد في شرطه .

ولكن عند الرجوع إلى روايات هؤلاء في مواضعها من الكتاب ، نجد أنه ساق رواياتهم على سبيل الشواهد والمتابعات لتقوى بها طرق الخبر ، ولم يوردها في بداية الأبواب محتجًا بها . ثم إنه قد يكون له عذر في هذا ، فلعله لم يطلع على حالهم ، أو أن له رأيًا مخالفًا لمن قال بجرحهم ، أو ترجحت لديه فيما بعد عدالتهم فاحتج بهم في هذا الكتاب ، حيث إن هذا الكتاب يعتبر من آخر مؤلفاته إذ ألفه قبل وفاته بسنتين أى عام (٣٠٩ هـ) .

كما لا يخفى علينا : أن ابن خزيمة – رحمه الله – ممن يرى أن الأصل في المسلم العدالة ، وأن جهالة حال الراوى لا تضر فلعل روايته عنهم بناء على هذا الأصل والله أعلم .

* **ثانيًا : (تأويله لحديث) : (إن الله خلق آدم على صورته)**

بأن الضمير يعود إلى آدم ، أو إلى سبب قد ورد في حديث آخر هو : (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته).

فقد قال ابن خزيمة : (... الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم) .

وقال بعد ذلك – عند روايته لحديث (لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن) إن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه .

وقد أخطأ – رحمه الله – في هذا التأويل ، وقد بينت أقوال العلماء في أحاديث الصورة وما قيل في معناها في موضعه من الكتاب ، وبينت ما ترجح لدى أنه الصواب والله أعلم .

* **ثالثًا : روايته لبعض الأخبار (الواهية) :**

كحديث رقم (٣٣) : (إن دون الرب يوم القيامة سبعين ألف حجاب ، حجاب من ظلمة ....) الخ .

فقد قال بعض العلماء – كابن الجوزي : (إنه موضوع)، ودافع عن وضعه السيوطي ، وقال الذهبي (ينبغي أن يحول من الموضوعات إلى الواهية) .

وكذلك حديث رقم (٢٠٤) :

حيث ذكر فيه رواية « غريبة » تتصل بهجرة المسلمين إلى الحبشة وقد خالفت هذه الرواية ما ذكره أصحاب السير والمغازى حيث ذكر فيها أن عمرو بن العاص أسلم أثناء هذه الهجرة ، والمعروف أنه لم يسلم إلا قبيل الفتح هو وخالد بن الوليد .

وكذلك حديث رقم (٥٩٥) :

الذي ورد فيه : (أن الله خلق الأرض على حوت والحوت على النون ، والحوت في

الماء والماء على صفاة ... الخ) . وهذا الأثر في معظم رواياته موقوف على ابن عباس ، وهو في مجمله يشتمل على قصة خيالية أشبه ما تكون بالإسرائيليات .

* **رابعًا : تفسيره للنفي في قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾**

أن المنفي هو : إدراك الأبصار له ، إذا اجتمعت ، فإذا انفرد واحد منها أمكن أن يراه . (راجع كلامه : في ص : **٥٥٧**).

ومعلوم أن هذا المعنى للآية ليس صحيحًا ، وقد بينت ذلك في موضعه عند كلام المؤلف على هذه الآية (ص : **٥٥٨**).

* **خامسًا: (تردده في الحكم على بعض الأحاديث) :**

كما في (ص : **٥٨٣**)، حيث قال : (وهذا الخبر كذب موضوع باطل وضعه بعض الجهمية) .

ومع هذا نجده في (ص : **٥٨٦**) يتردد في حكمه السابق فيقول : (ولو ثبت هذا الخبر .... لكان عندنا له معنىً صحيحًا ، لا كما توهمه الجهمي) .

ثم أخذ يؤوله ويتكلف له معان بعيدة جدًا ، اضطرته إلى حمل معاني بعض النصوص على أمور لا تحتملها كما في (ص : **٥٨٧**).

* **سادسًـــــا :**

قال عند قوله – ﷺ – في (ص : **٧٧٥**)

(لن يوافي عبد يوم القيامة وهو يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله إلا حرم على النار) ، إنما أراد بقوله في هذا الخبر (حرم على النار) أى حرم على النار أن تأكله لا أنه حرم على النار أن تؤذيه أو تمحشه ، أو تمسه ، لأن النار إذا أكلت ما بقي فيها يصير المأكول نارًا ، ثم رمادًا ، وأهل التوحيد – وإن دخلوا النار بذنوبهم وخطاياهم لا تأكلهم النار أكلًا يصيرون جمرًا ثم رمادًا بل : يصيرون فحـمًا كما ذكرنا في الأخبار التي قدمنا ذكرها ...) .

وهذا تأويل بعيد ، وقد تكلمت على هذا المعنى في موضعه عند ذكر المؤلف له وبينت أن الظاهر المتبادر من التحريم هو : عدم الدخول ..... ، أو تحريم الملازمة والخلود فيها ، أو أنه خاص بمن قال لا إله إلا الله وقام بحقها والله أعلم .

* **سابعـــــاً :**

نفيه للشيء في موضع وإثباته في موضع آخر .

مثل قوله في (ص : **٢١٤**) (ولم أجد في التصنيف هذه (اللفظة) ، مقيدة ، لا بنصب القاف ولا بخفضها) . ويعنى باللفظة (قط) .

ثم يقول بعد صفحتين من هذا الكلام : (هكذا قال لنا محمد بن يحيى ثلاثًا (قط) بنصب القاف .

وهذه الملاحظات لم أرد بها الحصر لما في الكتاب وإنما أردت التمثيل .

وهي في مجموعها لا تغض من مكانة الكتاب ولا من منزلة مؤلفه العلمية ، فجل من لا يخطيء ، ولو ترك العالم لزلة يقع فيها أو لخطأ يكون منه لترك خلق كثير من أفاضل العلماء وأجلائهم .

ولكن كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه .



* المبحث الثالث : التعريف بالمخطوطة .

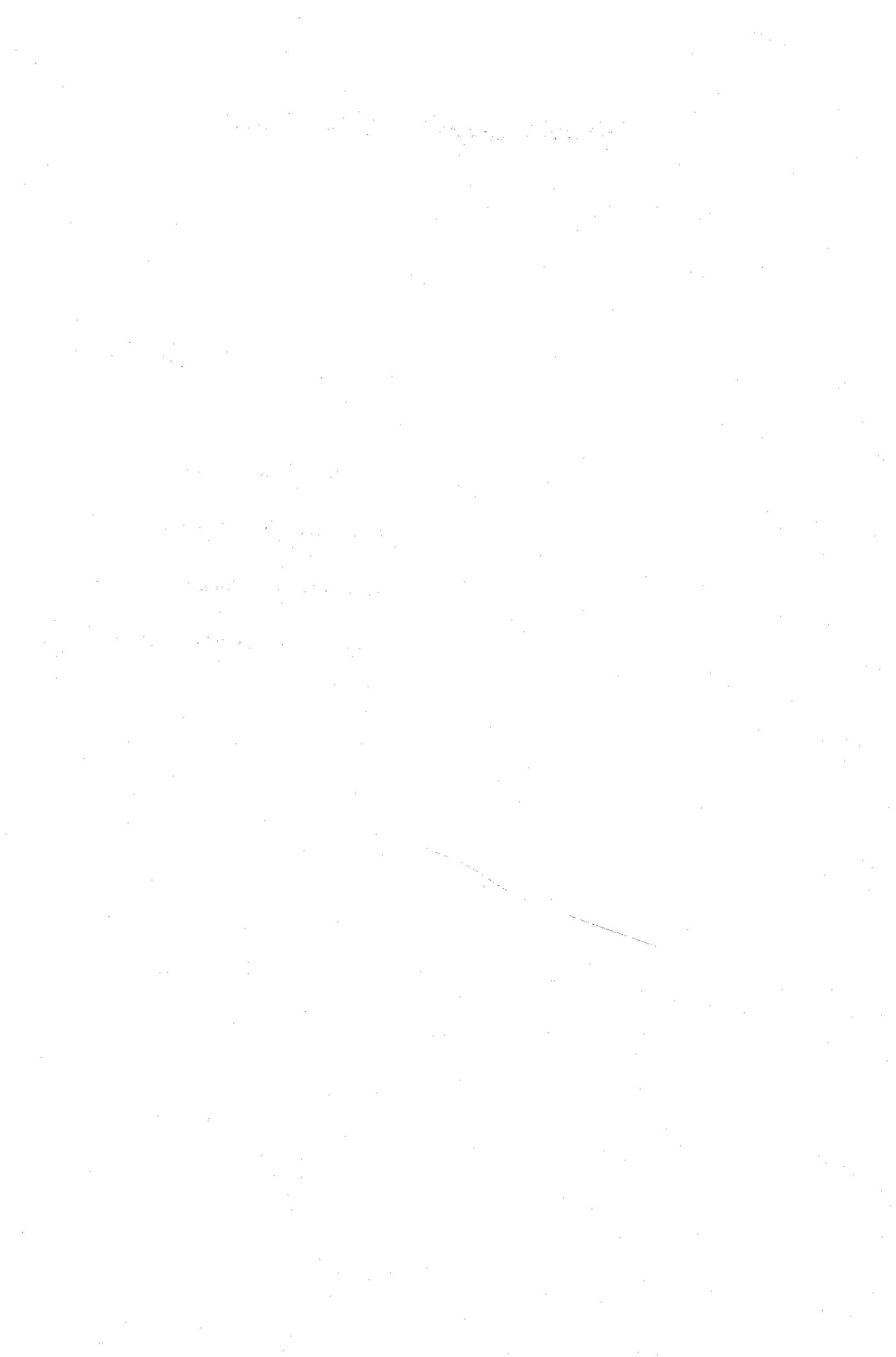
ويشمل على :

١ ـ عدد النسخ المخطوطـــة .

٢ ـ التعريف بكل نسخـــة .

٣ ـ النسخة المطبوعة وتقويمها .

٤ ـ نماذج من المخطوطـــات .



١ - عدد نسخ المخطوطـــة :

للمخطوطة خمس نسخ موزعة في أنحاء العالم ، فيوجد في تركيا نسختان ، وفي مصر نسخة واحدة ، وفي ألمانيـا جزء من نسخة ، وفي أسبانيا كذلك .

هذا بالإضافة إلى النسخة المطبوعة التي تم طبعها عام (١٣٥٣ هـ) في المطبعة المنيرية ، وقد أصبحت في حكم المخطوطة لندرتها ، وعدم الحصول عليها مع أنها طبعت دون مقابلة لها إلا مع بعض صفحات قليلة من النسخة التيمورية ، مما جعلها كثيرة السقط والأخطاء والتحريف ، وقد أعيد طبع هذا الكتاب مرةً أخرى وهذه الطبعة نسخة مكررة لما قبلها ، بل إنها قد زادت عليها في كثرة الأخطاء والتحريفات ، والسقط ، كما سيتضح عند الحديث عن النسخة المطبوعة وتقييمها .

* ٢ -(التعريف بالنسخ) :

الأولى: نسخة (مكتبة قسطموني): وهي مدينة بتركيا ورقم النسخة (٣٠٢٥).
وعدد صفحاتها : (٣٥٤) صفحة .
وفي كل صفحة : ٢١ سطـــرًا .
وفي كل سطر : قريبًا من (ثلاث عشرة كلمة) ، وهي نسخة تامة وكاملة ، وقد تمت مقابلتها على نسخة أخرى وعليها تصحيحات وتصويبات ، وخطها جيد ، وهي التي كان عليها أكثر اعتمادي عند النسخ .

ونسخها قريب من القرن الثامن وقد نسخت من نسخة بخط الحافظ ابن حجر -رحمه الله- ، وقد ذكر ذلك في الإسناد المثبت على الصفحة الأخيرة من النسخة .

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ق) .

الثانية :

نسخة (كوبريلي) من تركيا أيضًا ، ورقمها (٣٥٩ / ٣) .
وعدد صفحاتها : ٣٣٨ صفحة .

وفي كل سطر : قريبًا من (عشر) كلمات . وهذه النسخة ناقصة من آخرها بما يزيد على (١٦) صفحة .

وخطها نسخي جيد ، وتاريخ نسخها متأخر ، حيث وجد على الورقة الأولى ما يشير إلى أنها نسخت في القرن الثاني عشر الهجرى ، وقد أشار : فؤاد سزكين إلى ذلك [١] .

ويظهر أن هذه النسخة قد نقلت من التي قبلها نظرًا لاتفاقهما في الأخطاء والزيادة والنقص والإسناد .

وحيث انفردت هذه النسخة عن سابقتها ببعض الأخطاء وبعض الإضافات فقد اعتبرتها نسخة مستقلة ورمزت لها بحرف (ك) .

* **الثالثة :**

نسخة مكتبة (برلين) بألمانيا الغربية ورقمها (٢٣٩٤) .

وعدد صفحاتها (١٤٨) صفحة .

وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٠) سطرًا تقريبًا ، وفي كل سطر قريبًا من (١٢) كلمةً) .

وهذه النسخة هي أقدم نسخة معروفة حتى الآن للكتاب ، حيث يرجع نسخها لعام : ٦٩٢ هـ، كما هو مثبت على سماع بآخرها .

وخطها نسخي جيد ، مقروء بوضوح ، ولكن لم يوجد من هذه النسخة إلا ما يزيد على الثلث قليلًا ، حيث سقط منها ما يقرب من أربعين بابًا ، ابتداءً من (باب : ذكر صورة ربنا جل وعلا) ، إلى بداية (أبواب الشفاعة) .

وهذا الخرم يعادل أكثر من نصف الكتاب ، ويظهر من مقابلتها مع النسخ الأخرى أنها أدق النسخ وأكثرها ضبطًا .

---

(١) انظر : تاريخ التراث العربي (١/٤/٣٣) .

ولكن النقص الكبير فيها حرمنا من فائدة كبيرة ، كان يمكن أن تساعدنا على التقليل من الأخطاء الموجودة في الكتاب وضبطة .

وعلى هذه النسخة بعض التملكات التي ترجع إلى القرن العاشر والحادى عشر .

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ل) .

* **الرابعـــــة :**

نسخة المكتبة التيمورية المودعة في دار الكتب المصرية ، تحت رقم (٣٧٠) .

وعدد صفحاتها : (٣٥٠) صفحة .

في كل صفحة (٢١) سطرًا .

وفي كل سطر : ١١ كلمة تقريبًا .

وهذه النسخة كاملة ، وتاريخ نسخها يرجع إلى القرن التاسع أو العاشر الهجرى . وخطها ردىء وتكثر فيها الأخطاء الإملائية والنحوية كما يكثر فيها التحريف والتغيير لرسم الكلمات ويظهر أن ناسخها من المحترفين الذين ليس لهم صلة بالعلم .

وعلى هذه النسخة بعض التملكات ، :

أحدها : باسم : حسن محمد الشمسي ، ولم يذكر له تاريخ .

والآخر : باسم السيد رضوان الشمس ، ويرجع تاريخه لعام (١٢٩١ هـ) .

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ت) .

* **الخامسة :**

نسخة مكتبة (الاسكوريال) .

ورقمها (١٠١٨) . وعدد أوراقها : ٧٤ ورقة .

وفي كل صفحة من صفحاتها : ٢٥ سطرًا .

وفي كل سطر : ما يقرب من : ١٣ كلمة .

وهي نسخة ناقصة ما يقرب من النصف حيث لم يوجد منها إلا من بداية الباب الخامس والعشرين .

وخطها عادى ، وناسخها هو : علي بن محمد بن أحمد الحراني . وتاريخ نسخها عام (٧٦١ هـ) .

وعند مقارنتها ببقية النسخ اتضح أنها موافقة للنسخة الأولى ، ويظهر أنها نسخة منها ، وحيث إن النسخة الأولى تامة ومقابلة مع غيرها وأكثر ضبطًا ، اكتفيت بها عن مقابلة هذه النسخة مع بقية النسخ ، نظرًا لكثرة أخطائها ، وضياع أكثرها ، ورغبة في عدم إثقال الحواشي بكثرة التكرار .

*** نسخـــــة أخـــرى :**

ذكر (فؤاد سزكين) أن مكتبة بلدية الإسكندرية) تحتوى على نسخة من كتاب (التوحيد هذا) ، وأنها تقع تحت رقم (١٢١٨ ب) وأن كتابتها ترجع إلى سنة (٥٩٣ هـ) .

وكذلك أشار إليها (بروكلمان) .

وقد سررت بوجود هذه النسخة نظرًا لتقدم تاريخها حيث إنها أقدم نسخة فيما اطلعت عليه من النسخ الخطية الأخرى .

وذهبت إلى المكتبة المشار إليها واطلعت على النسخة ، فكانت دهشتي كبيرةً عندما أخذت أتصفح هذه المخطوطة ، حيث وجدت أنه ليس لها من كتاب التوحيد إلا الاسم فقط .

أما الموضوعات فتختلف تمامًا عن كتاب التوحيد الموجود بين أيدينا .

وهذه بعض عناوين هذا الكتاب ، إذ يتضح للقارئ من أول نظرة أنه لا صلة لها بموضوع الكتاب الذي معنا .

يقــــول :

سألت عن التوحيد ، فقلت : التوحيد هو الاسم والموحد هو الرجل ، أصل التوحيد ماهو ؟

والدين : هو الاسم ، والمتدين هو الرجل ، أصل الدين ما هو ؟

والإسلام هو الاسم ، والمسلم هو الرجل ، أصل الإسلام ما هو ؟

والسنة هو الاسم ، والسني هو الرجل ، أصل السنة ما هو ؟
والعلم هو الاسم ، والعالم هو الرجل ، أصل العلم ما هو ؟
والجهل هو الاسم ، والجاهل هو الرجل ، أصل الجهل ما هو ؟
والزهد هو الاسم ، والزاهد هو الرجل ، أصل الزهد ما هو ؟
والمحبة هو الاسم ، والمحب هو الرجل ، أصل المحبة ما هي ؟
والفقه هو الاسم ، والفقيه : هو الرجل ، أصل الفقه ما هو ؟
والصبر هو الاسم ، والصابر هو الرجل ، أصل الصبر ما هو ؟
والأدب هو الاسم ، والأديب هو الرجل ، أصل الأدب ما هو ؟

ثم يستمر في ذكر بقية موضوعات الكتاب وهي : الحكمة والعقل ، والسخاء والعمل ، والدنيا ، والشكر ، والتوبة ، والذكر ، والحسد ، والكبر ، والكياسة ، والفسق ، والبخل ، والحرص ، والجهاد ، والفهم والتقى ، والشرف ، والرياء ، والعجب والنحو والعروض ، إلى غير ذلك من الموضوعات ، ثم يبدأ بعد الانتهاء من سردها على الصورة السابقة بشرحها بتعريفات موجزة .

ويذكر عند تعريف كل كلمة هذه العبارة : قال محمد بن إسحاق رضي الله عنه .

ومن خلال النظرة الأولى لهذه العناوين يتضح أنه لا صلة لها بموضوعات (كتاب التوحيد ، وإثبات صفات الرب) المعروف .

كما أن مقدمته تختلف عن مقدمة كتاب التوحيد الذى معنا حيث قال فيها :

(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون – والحمد لله الذي لا يؤدى شكره إلا بنعمة من نعمه الآلاء ،.... الخ .

كما أن سبب تأليفه يختلف أيضًا ، فهو يقول :

(وهذا الكتاب وضعته وصنفته وألفته واخترته وجمعت فيه الحجج من كتاب الله تعالى ومن أخبار النبي – عليه السلام ، ومن إجماع الأمة ليكون حجةً للعالم ، ودليلًا واضحًا للمتعلم ، وردًا على أهل البدع ...) .

ثم يقول بعد ذلك بقليل : (لا يدرك طالب السنة والجماعة هذا المذهب الواحد

حتى يتعلم هذا الكتاب ويحفظه حفظًا كما يتعلم سورة من القرآن ويستعمله ، ولا يزيد فيه ولا ينقص منه ، فإني سألت فقهاء خراسان ، وفقهاء العراق وفقهاء مكة والمدينة وسائر البلدان والعلماء الذين أدركتهم على هذه المسائل فلم أجد عندهم الجواب ، ثم صنفت هذا الكتاب من فقه نفسي ، نصيحةً للعلماء والمتعلمين ، وهذا كتاب محكم جامع لكل ما يحتاج إليه المتعلم ، وفيه أحكام الدين ، ومعرفة الأصول ، ومعرفة المذاهب من أهل البدع والرد عليهم ، والاحتجاج معهم ...) .

هكذا رغم أنه لا يوجد فيه إلا مجرد تعريفات فقط لما سبق من موضوعات وهو يسوق الأحاديث بدون إسناد على خلاف منهج ابن خزيمة في جميع كتبه .

كما يتصف هذا الكتاب بالضحالة العلمية وقلة المعرفة بأساليب اللغة العربية ، واستعمال مفرداتها . كما أن حجمه لا يزيد على (٣٥) ورقة ، في كل ورقة ما يقرب من (٢٠ سطرًا) ، وفي كل سطر أربع عشرة كلمة تقريبًا .

وقد مر معنا في التعريف بنسخ المخطوطة أن النسخة الكاملة لكتاب التوحيد عدد أوراقها (١٧٧) ورقة ، وعدد أسطرها (٢١) سطرًا ، وعدد كلمات كل سطر (٢٦) كلمة تقريبًا .

فيتضح من هذا العرض : أن هذه النسخة لا صلة لها بكتاب التوحيد ، وإثبات صفات الرب عز وجل) ، لابن خزيمة المعروف ، والذى نسبته له المراجع والفهارس . ولعل كلًا من (فؤاد سزكين ، وقبله بروكلمان) لم يطلعا على هذه النسخة وإنما أخذا اسمها من فهارس المكتبات وظنا أنها نسخة من الكتاب المشهور باسم (التوحيد ...) ـ لابن خزيمة .

فالأسلوب والمنهج والضحالة العلمية كل هذه دلائل تشير إلى عدم صحة نسبة هذا الكتاب لابن خزيمة ، ووصفه بأنه كتاب التوحيد ، المعروف لابن خزيمة خطأ ظاهر .

٣ ـ(النسخة المطبوعة وتقويمها) :

طبع هذا الكتاب لأول مرة عام (١٣٥٣ هـ) ، وقد نفدت هذه الطبعة حتى صارت في حكم المخطوطة .

وقد خلت هذه الطبعة من التحقيق ، والتوثيق ، والمقابلة مع النسخ الأخرى ، مما جعل الكتاب يخرج للقارئ وهو مليء بالتحريف والسقط والأخطاء الكثيرة ، التي تزعج القارئ ، وتحول بينه وبين الفهم الصحيح للنص ، وتقلل الاستفادة من الكتاب .

وهذا ما وقع فعلاً لمن يطلع على هذا الكتاب في طبعته الحالية ويمعن القراءة فيه ، رغم أهميته العلمية ، ومكانة صاحبه بين علماء السنة .

وسوف أشير هنا إلى نماذج من الأخطاء والتحريفات وجوانب النقص في هذه المطبوعة ليتضح من خلالها أهمية العمل في تحقيق الكتاب وخدمته من جديد ليخرج بصورته الصحيحة لتتم الفائدة منه .

وقد قام بالطبعة المذكورة صاحب المطبعة المنيرية بمصر ، ووضع عليها بعض التعليقات والتخريجات المحدودة .

وقد أعيدت هذه الطبعة عام (١٣٨٨ هـ)، موسومة بهذه الجملة (راجعه وعلق عليه) : محمد خليل هراس ، ولدى مقارنتي بين الطبعتين وجدت أن هذه الطبعة نسخة مكررة لسابقتها بل تفوقها في كثرة السقط والأخطاء والتحريف .

وكل ما عمله الشيخ (هراس) : هو حذف اسم المطبعة المنيرية واسم صاحبها من على صفحة الغلاف ، والإبقاء على التعليقات والتخريجات التي عملها صاحب المطبعة المنيرية دون أن يشير إليه . وأضاف إليه بعض التعليقات على بعض القضايا .

وفيما يلي أذكر بعض الملاحظات على الطبعتين : الأولى والثانية ، وسوف يكون تركيزي على الثانية أكثر ، لأنها هي المتداولة ، وقد رمزت للأولى بحرف (م) ، والثانية (ط) . وإذا اتفقتا في الخطأ ، أصرح بلفظ المطبوعة .

١ ـ الأخطاء والسقط في الآيات :

آ ـ في (ص : ١٠) قوله تعالى : ﴿ فبهت الذى كفر ... ﴾، جاءت في المطبوعة (فبهت الذين كفروا ...) .

ب ـ وفي (ص : ٢٩) قوله تعالى : ﴿ ألقى إليكم السلام ... ﴾ في المطبوعة (... ألقى إليكم السلم) .

جـ–وفي صفحة (٢١) من (م) : ﴿ .. إنا جعلناه .. ﴾ بدلًا من (فجعلناه) .

د–وفي صفحة (ص : ١٩) : قوله تعالى : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ﴾

جاءت في (م) : (إن الذين يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) .

هـ–وفي نفس الصفحة من (م) : (وقالت امرأة العزيز تراود فتاها ..) وهي خطأ .

و–سقط قوله تعالى ﴿ وقال الملك ائتوني به .. ﴾ من (المطبوعة) (ص : ٢٠، ٢٧) .

ح–قوله تعالى : ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ جاءت في كليهما : (وهو خير الوارثين) : (ص : ٢٥، ٣٥) .

ط–كذلك سقط قوله تعالى ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله .... ﴾ من الطبعة الأخيرة (ص : ٤٤) .

ى–وفي كليهما قوله تعالى: ﴿يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ بسقوط (أم) .

ك–وسقط من كليهما قوله تعالى : ﴿ ... وقليل من عبادى الشكور ﴾–ص : ٢٢، ٣٠) .

إلى غير ذلك مما ستجده مثبتًا في حواشي الكتاب .

٢–سقوط أحاديث بأسانيدها من كلا الطبعتين فمثلًا :

١–سقط الحديث رقم (٤، ٩، ١٠)، من الباب رقم (١) .

٢–وسقط من منتصف الحديث رقم (١٢٣) إلى نهاية الحديث رقم (١٢٧) من الباب (٢٦) أى أربعة أحاديث ونصف .

٣–وسقط الحديث رقم (٢٠) من الباب (٣١) .

٤–وسقط الحديث رقم (٥) من الباب (٣٢) .

٥–وسقط الحديث رقم (٢٣، ٣٣)، من الباب : (٤٧) .

هذه نماذج من الأحاديث التي سقطت من المطبوعة بكاملها وإلى جانب ذلك : نجد بعض الأحاديث التي سقط جزء منها ، فمثلًا :

١ – حديث رقم (٢٣٤) سقط من آخره ما يقرب من سبعة أسطر ، انظر (ص : ١٦٣). من المطبوعة .

٢ – وكذلك حديث رقم (٤٦٨) سقط منه ما يقرب من أربعة أسطر ، (انظر : ص : ٣١٢) . كذلك .

٣ – وكذلك حديث رقم (٥٩٣) سقط منه ما يقرب من خمسة أسطر ، (انظر : ص : ٣٧٦) . كذلك .

٤ – وكذلك حديث رقم (١٨٨) سقط من آخره ما يقرب من سطرين من قوله (هذا حديث بندار ... الخ) ، انظر : (ص : ١٢٦) من المطبوعة . وأمثال ذلك كثير .

ثالثًا :

* **سقط بعض الأسانيد : مثلًا :**

١ – سقط الإسناد رقم (١٩) من الباب رقم (٣١) .

٢ – وكذلك الإسناد رقم (٢٨) من الباب (٣١) .

٣ – والإسناد رقم (٣) من الباب رقم (٤٦) .

٤ – وبداية سند رقم (٧) من الباب (٣٢) وهم أربعة من رجال السند .

٥ – وكذلك سقط جزء من سند الحديث رقم (٦٢ ، ١٠٨) وقد نبهت على البقية في مواضعها من البحث .

* **رابعًا : (أخطاء في أسماء الرواة) :**

وهذا اللون من الخطأ كثير جدًا ، وهذه بعض النماذج :

١ – (فزكريا بن يحيى بن إياس) : يلقبه بـ (ابن ابان) ، في كل المواضع ، التي ورد فيها في الكتاب . وهي تزيد على ستة مواضع . انظر : (ص : ١٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩) من (المطبوعة) .

٢ – (محمد بن عثمان بن أبي صفوان) : جاء هذا الاسم محرفًا في معظم الكتاب

فمرة (محمد بن عمرو بن صفوان) وأخرى (محمد بن أبي صفوان) . انظر : (ص : ١٢٦ ، ٢٦٩ ، ٢٥٣ ، ٢٧١ ، ٣٣٠) من (المطبوعة) .

٣ - في (ص : ٢١٧) : (حدثنا محمد بن عبيد الله الصنعاني وكان معه) وصحته (محمد بن عبد الأعلى الصنعاني - وكان ثقةً) .

٤ - في (ص : ٢١٣) من المطبوعة : (حدثنا أبو عوانة ثنا أبو معمر قال : ثنا روح ...) وهو خطأ . والصحيح (حدثنا ابن معمر ، ثنا روح) .

فأبو عوانة مات سنة (١٧٦ هـ) ، وابن خزيمة ولد عام (٢٢٣ هـ) ، فلا يمكن أن يقول : (حدثنا أبو عوانة) .

٥ - في (ص : ١٤٦) : قال : (حدثنا أبو موسى بن إسماعيل ...) والصحيح : (حدثنا أبو موسى ، ثنا موسى بن إسماعيل ....).

٦ - في (ص : ١٢٩) قال : (ثنا ابن وهب بن جرير) ، والصحيح : (وهب بن جرير) . وفي نفس السند قال : (ثنا المعتمر بن راشد ..) والصحيح (النعمان بن راشد) .

٧ - (وفي : ص : ١٣٠) : قال : (قال عمرو : ثنا يحيى بن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ...) ، والصحيح : (قال يحيى عن عبيد الله ، قال : أخبرني سعيد ابن أبي سعيد المقبرى ...).

٨ - وفي نفس الصفحة قال : (... ثنا عبدالوهاب بن عبد المجيد ، قال : ثنا هشام بن حسان ، وعبيد الله بن سعيد ، عن أبي هريرة). والصحيح : (وعبيد الله ابن عمر ، عن سعيد عن أبي هريرة ...) .

وأمثال ذلك كثير كما أسلفت ، وقد نبهت على ذلك في مواضعه من البحث .

٩ - وفي (ص : ٣٤٨) قال : (... عن عمران القطين ...) . والصحيح : (القصير) .

١٠ - وفي (٣٤٩) : قال (حدثنا محمد بن يحيى القلعي) . والصحيح : (القُطَعِي).

* **خامسًا : (دمج إسنادين في بعضهما وجعلهما إسنادًا واحدًا :**

فمثلا :

١ – في (ص : ٣٦١) : (حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثني عبد الحميد ابن عبد الرحمن أبو يحيى الحماني ، قال : ثنا زكريا بن أبي زائدة ، قال : ثنا محمد بن يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، الصنعاني أبو هاشم ، قال : حدثني إبراهيم بن عقيل بن معقل ابن منبه ، عن أبيه عقيل ، عن وهب بن منبه قال : هذا ما سألت عنه جابر بن عبد الله ، فأخبرني أنه شهد مع رسول الله ﷺ ...) الخ .

هكذا جاء هذا السند في (المطبوعة) ، والصحيح : أنه من (محمد بن يحيى) يبدأ سند جديد .

فمحمد بن يحيى – هو – الذُهْلي شيخ المؤلف – رحمه الله – .

٢ – وفي (ص : ٣٦٦) : جاء إسناد بنفس الطريقة هكذا : (حدثنا بندار قال : ثناأبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت رجلًا من آل سهل بن حنيف ، حدثنا يوسف بن موسى قال : ثنا جرير عن منصور ، عن سالم – يعني ابن أبي الجعد – عن جابان ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ ....) .

فمن يوسف بن موسى : يبدأ إسناد جديد .

* **سادسًا : سقوط الكلمات الكثيرة ، وبعض الجمل** ، وأحيانا بعض الأسطر من الكلام : وهذه بعض الأمثلة :

١ – في المقدمة (ص : ٥) سقطت هذه الجملة (فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين ...) .

٢ – وفي (ص : ٢٨) : سقط ما يقرب من سطر وهو قوله : (.. ملكًا فقال : ﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾ وأعلمنا جل جلاله أنه العظيم وسمى بعض عبيده ....) .

٣ – وفي (ص : ٣٠) سقط ما يقرب من سطر كذلك ، وهو قوله : (جل ربنا

وسمى الله إبراهيم عليه السلام حليمًا فقال : ﴿ إن إبراهيم لحليم .. ﴾ وانظر : كلا من (ص : ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٦٢ ، ٩٦ ، .... الخ .

فقد سقط من كل منها سطر أو أكثر ولا شك أن مثل هذا السقط قد أخل بفهم المعني .

* **سابعًا : (كثرة التحريف والتصحيف) :**

وهذا اللون حدث ولا حرج ، فلا تكاد صفحة تخلو منه ، ومعظمها تحريفات تخل بالمعنى فمثلًا :

١ – في حديث رقم (٣٠٦) : قال : (ألا ليتني أضرب) ، والصحيح : (ليبشر أصحاب ....).

وفي نفس الحديث قال : (... في الحساء والجنوب ...) والصحيح : (في الحياة والموت) . انظر (ص : ٢٠٦ من (المطبوعة) .

٢ – في حديث رقم (٨٨) قال : (فاحفظ الفضل ولا تعجز عن نفسك) والصحيح : (فاعط الفضل ....) .

٣ – وفي (ص : ٧٦) قال : (وجوب التكبير) والصحيح (وجوب النكير) .

٤ – في (ص : ٦٠) قال : (ألا بتطهر مرتين) والصحيح (الا بتظاهر مرتين) .

٥ – في (ص : ٢٨) قال : (يقول الله القديم لم يزل ...) والصحيح : (نقول) بدل (يقول) .

٦ – وفي (ص : ١٨٥) : من (المطبوعة) : قال : (حدثنا جل ثناؤه أنها بعد الموت وأنهم لا يرونه قبل الممات) هكذا .

والصحيح : (فاسمعوا الآن خبرًا ثابتًا صحيحًا من جهة النقل يدل على أن المؤمنين يرون خالقهم جل ثناؤه بعد الموت) الخ .

* **ثامنًا : نظرًا لعدم مقابلة النسخة المطبوعة مع بقية نسخ الكتاب** ، نجد المعلق الشيخ (محمد خليل هراس) يقول في أكثر من ثمانين موضعًا من الحاشية : (لعل العبارة كذا)

-(هذه العبارة فيها خفاء ولعله يقصد بها ...) .
-(لعلها خطأ مطبعي أو تحريف من الناسخ).
-(لعل العبارة فيها حذف ....).
-(هكذا بياض في الأصل مقدار كلمتين ، ولم أهتد إلى من هو عبد الله ولا إلى من يروى عن شرحبيل) ،.
-(الكلام هنا غير واضح ، ولا مفهوم ، ويظهر أن فيه حذفًا كثيرًا) .
-(لعل الكلام هنا سقط منه شيء) وهكذا .

ولدى مقارنتي بين النسخ أمكن تلافي كثير من التحريف والسقط والأخطاء كما سترى ذلك في ثنايا الرسالة بحول الله .

تاسعًا : **ثم إن عدم تخريج الأحاديث** أوقع المعلق في نفي صحة بعض الأحاديث والتوقف في البعض الآخر ، كما قال عن الحديث رقم (٣٩٨) (ص : ٢٧٣) من (المطبوعة) :

(لو صح هذا الحديث فلعله يريد ما وقع بين الصحابة ...) الخ والحديث صحيح كما في تخريجه .

وقال عن الحديث رقم (٥٩٢) (ص : ٣٧٦) : (هذا الخبر لم يصح رفعه . عن أنس ، بل قد روى موقوفًا ورواه أنس مرةً عن بعض الصحابة فهو خبر مضطرب الإسناد ، مع أن هذا الحديث ثابت صحيح كما في تخريجه وله شاهد في صحيح مسلم .

وقال عن الحديث رقم (٤٦٨) (ص : ٣١١) : (من المطبوعة : لو صح هذا الحديث ....) ، والحديث قد رواه جمع من العلماء وقال عنه الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجالهم ثقات .



القســـم الثاني :

(عملي في الكتـــــاب) :

وفيـــه مبحثـــان :

* المبحث الأول : تحقيق النص .

* المبحث الثاني : الرموز والمصطلحات التي استعملتها في الدراسة والتحقيق .



* المبحث الأول : تحقيق النص :

لقد مضى على هذا الكتاب أكثر من عشرة قرون من غير أن يخدم وتحقق نصوصه ، ويخرج للناس بشكله السليم ، رغم أهمية الكتاب في موضوعه لدى علماء السلف المشتغلين بمعرفة السنة الصحيحة ومسائل العقيدة الإسلامية والرد على الشبه الموجهة إليها .

ولما كانت مادة الكتاب هي : الحديث النبوى الشريف ، فقد حفل بعدد ضخم من النصوص والأعلام ، إذ يورد المصنف الحديث بإسناده إلى المتن ، وقد يكون في سلسلة السند إلى النبي ﷺ أربعة أو خمسة أشخاص ، كما أنه قد يورد الحديث الواحد بعدد من الأسانيد مما يزيد في عدد رجال الإسناد .

وقد اشتمل الكتاب على عدد كبير من الأحاديث والآثار .

كما أن بعض النسخ الخطية تشتمل على أخطاء وتحريفات وسقط كثير ، مما جعل العمل في المقابلة واختيار النص يصحبه كثير من الصعوبات ، ولكن الله أعان عليها فجاء النص أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها المؤلف .

وقد كان عملي في الكتاب على النحو التالي :

١ – تحقيق اسم الكتاب .

٢ – بيان موضوعاته وسبب تأليفه ، وعدد أجزائه .

٣ – تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

٤ – تحقيق النص وهو على النحو التالي :

آ – المحاولة قدر الإمكان في أن يخرج نص الكتاب على أقرب صورة تركها عليه المؤلف .

ب – المقابلة بين النسخ الخطية ، والمطبوعة واختيار النص الأقرب للصواب .

٥ – بيان مواضع الآيات من السور .

٦ – تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب ، والحكم على أسانيد ابن خزيمة إن أمكن . وعلى الأحاديث الموجودة في غير الصحيحين .

٧ - تخريج الآثار الواردة في الكتاب

٨ - شرح المفردات الغريبة .

٩ - التعليق على بعض أبواب الكتاب بما يقتضيه المقام من ناحية العقيدة .

١٠ - مناقشة المؤلف في بعض آرائه ، واستدلالاته وبيان الراجح أو الصحيح .

١١ - الجمع بين بعض النصوص التي يظهر منها التعارض ، وبيان وجه الاستدلال من البعض الآخر .

١٢ - بينت منهج المؤلف في الكتاب ، والملاحظات عليه من الناحية الفنية والعلمية .

١٣ - عملت مقارنةً بينه وبين بعض الكتب المؤلفة في مثل موضوعه .

١٤ - عرفت بالطوائف والمدن والقبائل التي ورد ذكرها في الكتاب .

١٥ - وضعت أرقامًا خاصة للأحاديث ، رقمًا خاصًا بأحاديث كل باب من أبواب الكتاب ، ورقمًا عامًا مسلسلًا (من أول الكتاب إلى آخره) . وذلك لتمييز الأحاديث الورادة في الكتاب وليسهل الرجوع إليها عند الحاجة .

١٦ - كما رقمت أبواب الكتاب برقم متسلسل من أول الكتاب إلى آخره .

١٧ - وضعت بعض العناوين الجانبية داخل بعض الأبواب لبيان بداية بعض الأدلة أو الموضوعات .

١٨ - الأعـــلام :

آ - عرفت بشيوخ ابن خزيمة الذين روى عنهم في كتاب التوحيد ، ممن وجدت منهم .

وقد ذكرت الترجمة في المكان الأول الذى يرد فيه ذكر الشيخ ، ثم أحيل عليه بعد ذلك .

ب - ترجمت لجميع من وجدت من رجال الإسناد ، كل منهم في أول موضع يرد فيه ، ثم أحيل عليه في المواضع الأخرى .

١٩ – ختمت الكتاب بالفهارس العلمية الضرورية وهي :

١ – فهرس الآيات القرآنية .

٢ – فهرس الأحاديث على حروف المعجم .

٣ – فهرس الفـــــرق .

٤ – فهرس الأعــــلام .

٥ – فهرس مصادر ومراجع التحقيق والدراسة .

*** المبحث الثاني :**

الرموز والمصطلحات المستعملة في (الدراسة والتحقيق) . لقد استعملت في التحقيق والدراسة رموزًا ومصطلحات للاختصار والتسهيل إلى جانب المصطلحات المستعملة في الكتاب .

أولًا : جرت عادة المحدثين أن يقولوا عند القراءة : حدثنا أو أخبرنا ، وأنبأنا . وقد يختصرون هذه الكلمات عند الكتابة فيكتبون : ثنا وأنبأ ونا ، بدلًا من حدثنا وأخبرنا وأنبأنا ، وهكذا جاءت الروايات في الكتاب .

ثانيًا : رموز استعملتها وهي :

– روى له الجماعة = أصحاب الكتب الستة .

– روى له الأربعة = أصحاب السنن .

– التهذيب = تهذيب التهذيب .

– التقريب = تقريب التهذيب .

– الميزان = ميزان الاعتدال .

– التذكرة = تذكرة الحفاظ .

– الخلاصة= خلاصة تذهيب تهذيب الكمال .

أما غيرها فإني أذكره باسمه كاملًا إذا رجعت إليه .

– إذا قلت أخرجه البخارى ومسلم : فإني أقصد في صحيحيهما ، فإذا كان في غيرهما ذكرته بالاسم .

-وإذا قلت : أخرجه النسائي والترمذى وأبو داود وابن ماجة : فإني أقصد في سننهما .

فإذا كان في غيرهما ذكرته بالاسم كذلك .

-وإذا قلت : أخرجه الإمام أحمد فإني أقصد في مسنده .

-وإذا قلت مثلًا : من قتادة .... به .

أو من الأعمش .... به .

فإني أقصد من طريق قتادة أو الأعمش .

-وإذا قلت مثلًا : أخرجه البخارى في الأنبياء ومسلم في الصلاة ، والنسائي في المساجد : فإني أقصد في كتاب الأنبياء وكتاب الصلاة وكتاب المساجد من صحيحيهما أو من السنن للنسائي .

ونحو ذلك .

وإذا قلت : إسناده صحيح : فهو يعني أن رجاله كلهم ثقات ، كما يظهر من تراجمهم .

-وإذا قلت : إسناده حسن ، ففيه رواه أو أكثر (صدوق) كذلك .

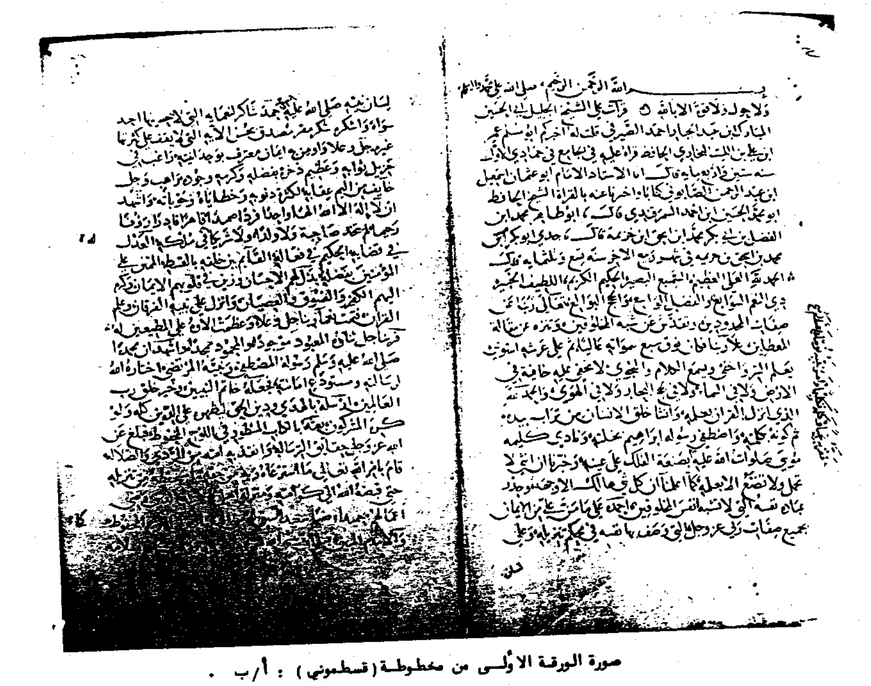
* وأما النسخ الخطية فقد رمزت لها بما يلي :

١ -(قسطموني) : (ق) .
٢ -(كوبرلـي) : (ك) .
٣ -(التيمورية) : (ت) .
٤ -(الألمانيـة) : (ل) .

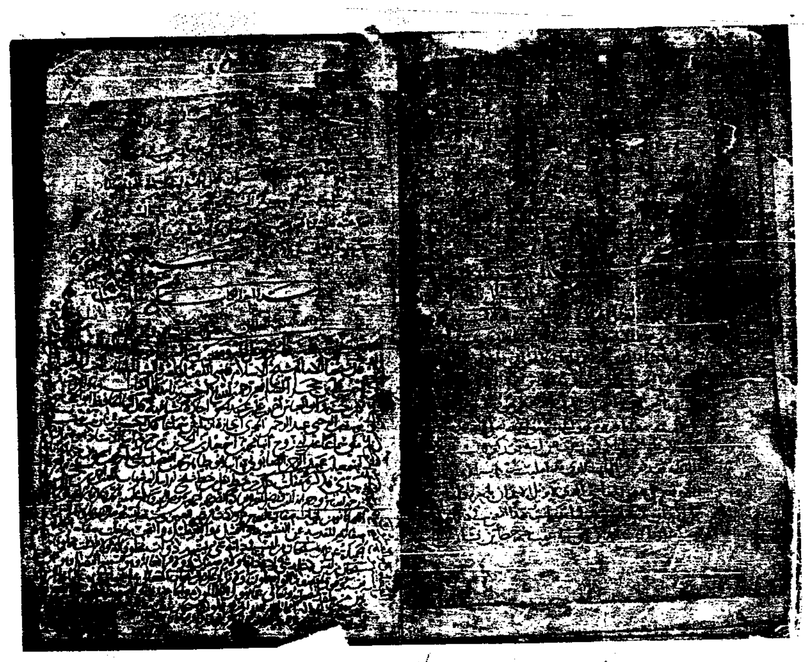
وبعد : فهذا جهد المقل فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان . وأستغفر الله .

والله ولي التوفيق .

نَمَاذِجُ مِنْ النسخ المخطوطة :-



صورة الورقة الأولى من مخطوطة (قسطموني) : أ/ب .



صورة الورقة الأخيرة من نسخة (قسطموني) : أ/ ب .

التي ذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا لبعض المعاصي
لم يدخل الجنة انما اراد بعض الجنان التي هي اعلا واشرف وافضل
وانبل واكثر نعيما واوسع ان كان [illegible] يقول النبي صلى الله عليه
وسلم من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لا يدخل شيئا من الجنان
و[illegible] انه يدخل الجنة فتاويل احدى الكلمتين دافعه للاخرى
واحدى الخبرين دافع الاخر لان هذا الجنس مما لا يدخله الناسخ
ولكنه من الفاظ العام الذي يراد بها الخاص نا محمد بن يحيى
قال نا حسين بن محمد ابو احمد قالا نا شيبان يعني ابن عبد
الرحمن النحوي عن قتادة قال نا انس بن مالك ان ام الربيع بنت
البراء وهي ام حارثة بن سراقة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا نبي الله الا تحدثني عن حارثة بن سراقة وكان قتل يوم بدر
اصابه سهم غرب فان كان في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت
عليه بالبكاء فقال يا ام حارثة انها جنان في جنة وان ابنك اصاب
الفردوس الاعلى نا محمد بن يحيى قال نا مسلم بن ابراهيم قال نا
ابان يعني ابن يزيد العطار ونا محمد قال نا سليمان بن حرب قال
نا ابو هلال قالا نا قتادة عن انس فذكر محمد بن [illegible] الحديثين
كلها [illegible] نا علي بن الحسين الدرهمي قال نا امية يعني ابن خالد
عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس قال خرج ابن عمتي حارثة [illegible]
يوم بدر فاصابه سهم غرب فاتت امه الربيع النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ان كان حارثة في الجنة [illegible]
[illegible] جنات وان حارثة [illegible]

الاعلى

صورة الورقة الأخيرة من الموجود من مخطوطة (كوبريلي) : (أ) .

SULEYMANIYE KUTUPHANESI
MIKROFILM VE FOTOKOPI SERVISI

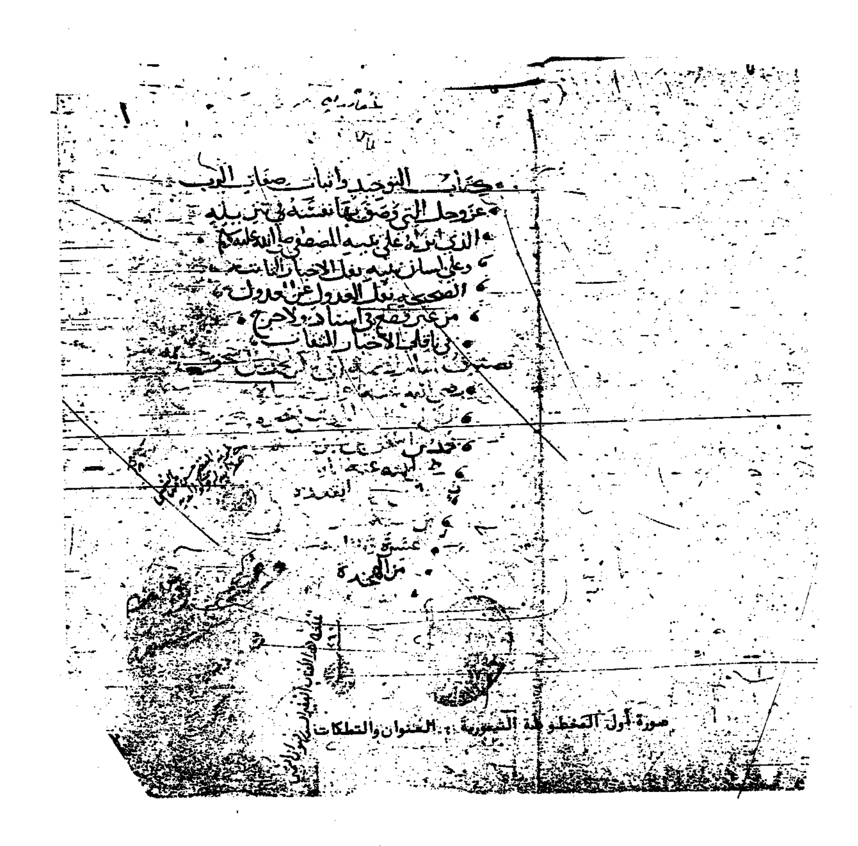
Mikrofilmi çekilen eserin :
Bölüm ve numarası : Köprülü 259
Varak sayısı : 1 - 170 YK
İsteyen şahıs veya müessese : Mehmet Sadik AYD.

الجزء الأول من كتاب التوحيد

٢٥٩

وإثبات صفات الرب عز وجل التي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله الذي
انزله على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى لسان نبيه بنقل الاخبار الثابتة
الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع في اسناد ولا جرح في ناقلي
الاخبار تصنيف ابي بكر محمد بن اسحق بن خزيمة رضي الله عنه وارضاه
رواية الشيخ ابي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي احسن الله
توفيقه عن ابي صالح عمر بن علي بن الليث البخاري الحافظ عن شيخه
عن ابن ابن المصنف عن المصنف سماع لاحمد بن عبد الله ابن علي
ابن عبد الله ابن محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن موسى الابنوسي
نفعه الله بالعلم في الدنيا والآخرة آمين رواية الشيخ الفقيه
الزاهد ابي القسم زاهر بن علي بن هرون الجيلي عن الشيخ الحافظ ابي صالح
البخاري ايضا سماع لاحمد ابن عبد الله بن الابنوسي [illegible]
عبد الله بن علي الابنوسي من الوزير [illegible] الاسلام ظهير الدين ابي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كتاب التوحيد [illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة أول مخطوطة (كوبريلي) : العنوان والإسناد .



كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب
عز وجل التي وصف بها نفسه في تنزيله
الذي أنزله على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم
وعلى لسان نبيه بنقل الأخبار الثابتة
الصحيحة بنقل العدول عن العدول
من غير قطع في إسناد ولا جرح
في ناقلي الأخبار الثقات

صورة أول المخطوطة التيمورية : العنوان والتملكات

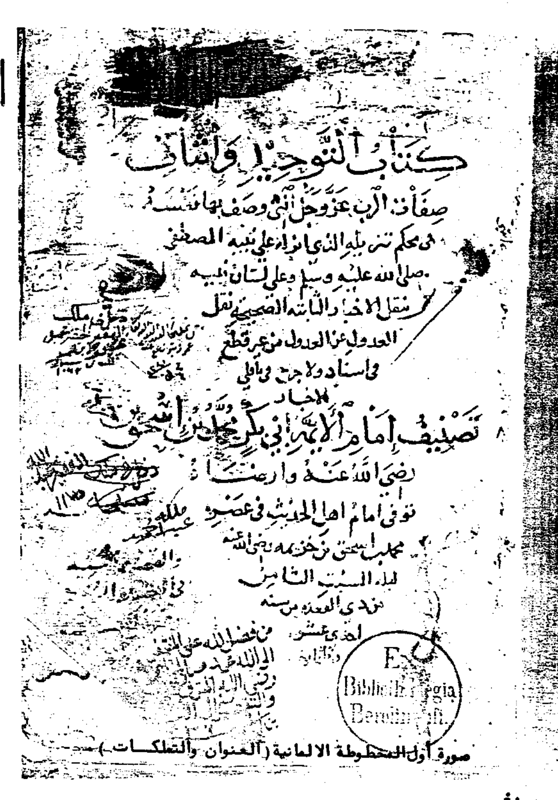
ما قلت ما حدثتك [illegible] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما
من مسلمين تواجها بسيفيهما فقتل أحدهما الآخر إلا دخلا النار جميعًا
فقيل له: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه
[illegible]

[illegible]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[illegible]

صورة الورقة الأخيرة من النسخة التيمورية (١٢٤/ب)



كتاب التوحيد واثبات
صفات الرب عز وجل التي وصف بها نفسه
في محكم تنزيله الذي انزله على نبيه المصطفى
صلى الله عليه وسلم وعلى لسان نبيه
بنقل الاخبار الثابتة الصحيحة نقل
العدول عن العدول من غير قطع
في اسناد ولا جرح في ناقلي
الاخبار
تصنيف امام الائمة ابي بكر محمد بن اسحق
رضي الله عنه وارضاه
توفي امام اهل الحديث في عصره
محمد بن اسحق بن خزيمة رضي الله عنه
ليلة السبت الثامن
من ذي القعدة من سنة
احدى عشرة وثلثمائة

Ex Biblioth. Regia Berolinensi.

صورة أول المخطوطة الالمانية (العنوان والتملكات)



وحده
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير مخلصا بها
روحه مصدقا بها لسانه وقلبه الا فتقت له ابواب السما فتفتقا
حتى ينظر الرب الى قايلها من اهل الدنيا وحق لعبد اذا نظر الله اليه
ان يعطيه سؤله قال ابو بكر يرد كل جزء من هذه الاخبار الى موضعه
من بابه وقد بينت في ابوابها معانيها كلها والفت بين الفاظها
في المعاني وان كان الفاظها مختلفة عند اهل الجهل والزيغ وقد
احمد بن عبد الرحمن بن وهب قال نا عمي قال اخبرني عمرو عن جعفر بن
ربيعة عن عراك بن مالك انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا ترغبوا عن ابائكم فمن رغب عن ابيه فقد كفر
قال ابو بكر هذه اللفظة فقد كفر من الباب الذي قد امليت
في كتاب الايمان ان اسم الكفر قد يقع على بعض المعاصي
الذي لا يزيل الايمان باسره وانما ينقص من الايمان لا يذهب به
جميعا قد بينت هذا المعنى في ذلك الموضع بيانا شافيا
حدثنا محمد بن يحيى في عقب خبر عطاء بن يسار عن ابي سعيد
في ذكر اهل الغرف من الجنة قال نا سريج بن النعمان
قال نا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراءون في الجنة بهذا
بريد مثل حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر

رضي الله عنه قال لنا محمد بن يحيى لا ابعد ان يكون عطاء بن يسار
قد سمعه من ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما.
هذا اخر الكتاب والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين
كتبه لنفسه العبد المذنب الغافل
الظالم المقصر الكثير الزلل
عبد الرحيم بن يحيى بن يعقوب بن
احمد بن عمي بن الشيخ زغيب
عفا الله عنه وغفر له
بمنه وكرمه
وجوده
امين

بلغ مقابلة

صورة الورقة الاخيرة من المخطوطة الالمانية (أ / ب)

فهرس موضوعات الدارسة

المقدمة : وتشمل :ـ — الصفحة

١ ـ تمهيد ٩

٢ ـ أهمية العقيدة ١

٣ ـ عناية السلف بالعقيدة ١٢

١٣

القسم الأول

* دراسة حياة ابن خزيمة.

وفيه مباحث :ـ ١٥

* المبحث الأول: عصر المؤلف وفيه: ١٥

١ ـ الناحية السياسية ١٧

٢ ـ الناحية الاجتماعية ١٩

٣ ـ الناحية العلمية والدينية :ـ ٢٠

أ ـ الناحية العلمية ٢٠

ب ـ الناحية الدينية ٢١

* المبحث الثاني : حياته الشخصية وفيه: ٢٣

١ ـ اسمه وكنيته ٢٥

٢ ـ مولده ونشأته ٢٥

٣ ـ صفاته :ـ ٢٥

أ ـ تقواه وزهده ٢٥

ب ـ سخاؤه وكرمه ٢٦

جـ ـ شجاعته وجرأته ٢٧

٤ ـ وفاته ٢٧

* المبحث الثالث: حياته العلمية، وفيه:ـ ٢٩

١ ـ طلبه العلم ورحلاته ٣١

٢ ـ شيوخه وتلاميذه ٣١

أ ـ شيوخه ٣١
ب ـ تلاميذه ٣٢
٣ ـ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ٣٣
٤ ـ مؤلفاته ٣٧
٥ ـ عقيدته ومذهبه ٣٧
أ ـ عقيدته ٣٧
ب ـ مذهبه ٤١

القسم الثاني

(دارسة تمهيدية عن الكتاب والمخطوطة) :ـ
وفيه مباحث :ـ ٤٣
* **المبحث الأول : ـ التعريف بالكتاب** ٤٣
١ ـ اسم الكتاب وموضوعه ٤٥
٢ ـ سبب تأليفه لهذا الكتاب ٤٧
٣ ـ أجزاؤه ٤٨
٤ ـ توثيق نسبة الكتاب الى مؤلفه ٤٩
٥ ـ سند المخطوطة ٥٢
* **المبحث الثاني : (دراسة تقييمية للكتاب** ٥٥
وتشـــمل :ـ
١ ـ منهج المؤلف في الكتاب ٥٧
٢ ـ قيمته العلمية ٦١
٣ ـ المآخذ على الكتاب ٦٢
أولاً : الناحية الفنية ٦٢
ثانياً : الناحية العلمية ٦٥
* المبحث الثالث : (التعريف بالمخطوطة وفيه) : ٧٣
١ ـ عدد النسخ ٧٥
٢ ـ التعريف بكل نسخة ٧٥
٣ ـ النسخة المطبوعة وتقويمها ٨٠

(القسم الثالث) :-

(عملي في الكتاب) :-

وفيه مبحثان ٨٩
* المبحث الأول : تحقيق النص ٩١
* المبحث الثاني : الرموز والمصطلحات ٩٣